منهج الوائلي منطلق في مواجهة الإلحاد والشبهات – دراسة تحليلية

م.د. حميد علي راضي الدهلكي
جامعة الإمام الصادق/ كلية الآداب / قسم علوم القرآن
Email:aldahlakih@g.com

الكلمات المفتاحية: الالحاد ، الشبهات ، الغلو ، الشعائر ، البدع.

ملخص البحث

المتابع لمسار الحركة الفكرية بشكل عام يستطيع أن يتلمس مراحلها قبل وبعد خمسينيات القرن الماضي، ليرى أنها مرت بمراحل ثلاثة، إذ يمكن ان نطلق على المرحلة الأولى بمرحلة (التراجع والانحسار)، ثم تلتها المرحلة الثانية والتي امتازت عن سابقتها بوعي نسبي وشعور بالمسؤولية في الدفاع عن قيم الإسلام ومبادئه وتطلعاته، ويمكن ان نسميها بمرحلة المقارنة والقيام، بمعنى مقارنة مبادئ الإسلام مع الأفكار والنظريات التي تدعي التحضر و التطور وأمثالها ونستطيع تسمية هذه المرحلة بـ (القيام والانتشار) ، وجاءت المرحلة الثالثة مكملة لسابقتها والتي انبرى فيها مراجع أفذاذ، وعلماء واعون، وخطباء مفوهون، لينقلوا الإسلام بما يحمله من قيم ومبادئ ومفاهيم من مرحلة التراجع والرجعية كما يدعي المناوئون للإسلام، ومن مرحلة مقارنة الإسلام بغيره من الأفكار كما يرى المدافعون عن الإسلام الى مرحلة التصدي، والتحدي، والمواجهة، والانتفاض على كل المفاهيم الوافدة والمستوردة من الشرق أو الغرب، ونستطيع تسمية هذه المرحلة (بالمواجهة والانتصار)، فبرز رواد يمثلون هذه المرحلة، ومراجع أمثال السيد محمد باقر الصدر (قدس)، والسيد روح الله الموسوي الخميني (قدس) وأمثالهم، كما برز خطباء واعون وكان الدكتور أحمد الوائلي (رحمه الله) أبرزهم. سوف أحاول في بحثي هذا، ان أبرز منهجية وقفت وتحدثت وقهرت الفكر الإلحادي في سني الخمسينيات وما بعدها لأُقعد أركانه، لكي يستفيد منه الباحثون عموماً، وخطباء المنبر خصوصاً، ليكون منهج الدكتور الوائلي نموذجا ومثالاً لهذا المنهج الواعي والمسؤول، لأنه يشكل تجربة ناجحة ، نحتاج إلى تكرارها واستمرارها، وتطورها، لتنسجم مع الظروف الموضوعية والعوامل الضاغطة، لما يتصف به هذا المنهج من موضوعية، وواقعية، ووسطية، ووحدوية وغيرها، لهذا كان هذا البحث حول منهج الدكتور الوائلي (رحمه الله) منطلقا في مواجهة الإلحاد والشبهات.

Al-Waeli Method in Confronting Atheism and Suspicions: An Analytical Study

Lecturer Dr. Hameed Ali Radhy Al-Dahlaky
University of Al-Imam Al-Sadiq /College of Arts /Department of Quran Sciences
Email:aldahlakih @.com

Key Words (Atheism , Suspicion , Extremim , Tradition, Hersey)

Abstract

The one who follows the thinking movement in general can follow its stages before and after the fifties of the last century to see that it passed through three stages as we can name the first stage a (retreats and abatement) , then followed by the second stage that was distinguisher from the latter by relative awareness and feel of responsibility in defend the values of Islam , its principles and ambitions .We can call it the stage of comparison and raise .That means to compare Islam principles with thoughts and theories that call civilization , development and their examples .We can name this stage (Raise and Expansion) .The third stage completes the former one in which a great clerics ,aware scholars and wise speakers to transport Islam with principles values and concepts from other stage of retreat as the Islam opponents called and from compare Islam with other thoughts as the defendants of Islam to the stage of confront , challenge , revolt against all the imported concepts from East or West .We can call this stage (Confront and victory). Thus a pioneers emerge that represented this stage and clerics such as Mohammed Bqir Alsader (God Holly His Soul),Saied Roh Allah Almosawy Alkhumainy (God Holly His Soul) and other clerics .Dr. Al-Waely (Go Has mercy on His Soul) the most important .I shall attempt in this research to introduce a method that stand and challenge and defeat atheism thinking in Fifties and the years follow it to made its bases for the researches to benefit in general and the speakers of the .Thus Al-Waely method is an example for this aware and responsible method to consistent with objective conditions and compressed elements as this method distinguished of objectivity , reality , medium and unified and others .Thus this research is about Al-Waely method which is the base in confronting atheism and suspicions.

مُقدّمة :

(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) {الأحزاب/39}

التبليغ مهمة الأنبياء والرسل ومن اهتدى بهديهم، وسار على نهجهم، وهم أمناء بإيصال تبليغ وحي الله وأحكام شرعه، ومعلوم أن مهمة التبليغ شاقة وعسيرة، وتحتاج إلى صبر وأناة، ومثابرة وتحمّل، لتصادمها مع ميول ورغبات وعادات وتقاليد الناس، لاسيما في المجتمعات الراكدة ذات الثقافة المحدودة والمحكومة من قبل الأقوياء الذين يريدون التحكم واستعباد الضعفاء، من أجل التمسك والمحافظة على موروثهم، بما يحويه من سجل مليء بالأفكار الضالة والمضلة، وما يرافقه من ظلم وجهل واضطهاد، وعادات موروثة من الآباء والأجداد. متمسكين بها ولا يريدون الانفكاك أو التنازل عنها، لأنهم جبلوا وتطبعوا عليها، وعندها ستقع المواجهة الحتمية بين خطين دوماً، خط الأنبياء والرسل ومن يسير على دربهم وهديهم وهم يجسّدون عملية الوعي الإصلاحي والتغييري، وبين خط الجهالة والضلالة والتحجر الذي يمثله أصحاب القوة والنفوذ والمال، لاستعباد الناس وتخويفهم وإذلالهم، وعدم السماح لهم بقبول الحق من أجل تغيير عاداتهم وتقاليدهم.

من هنا تأتي وظيفة أولياء الله وهم يبلغون رسالته، ويبتغون رضاه ورضوانه، ولا يخشون أحداً سواه، فهم حملة رسالة، ودعاة تغيير، وقد نذروا أنفسهم لذلك، لا يهابون أحداً إلا الله، ولم يسألوا أحداً أجراً على تبليغ رسالته غير مرضاة الله تعالى، وهو الكافي والحسيب لهم في شدتهم ومحنتهم ومعاناتهم، وهم يؤدون دورهم الرسالي.

وبناء على أهمية التبليغ وضرورته عند أولياء الله ، نلاحظ اختلاف مناهجهم في ذلك، على الرغم من اتحاد ووحدة غايتهم، ومرد ذلك لكي يضمنوا التأثير على مخاطبيهم بما ينسجم وظروفهم البيئية والمجتمعية ومدى استجابتهم لذلك.

وإن اختلاف المنهج وطرائق تطويره من قبل المبلغين، لكي يكون منسجماً ومتماشياً مع متطلبات الزمان والمكان، وعقلية المخاطبين ومستواهم الثقافي ومخزونهم الفكري، وحاضنتهم الاجتماعية وغيرها، لكي يستطيع المبلغ أن يوصل ويتابع مهمته الرسالية بأنجع الأساليب وأكثرها تأثيراً، وكلما كان أسلوب المبلغ موضوعياً، وعقلانياً، ويناغم الفطرة النقية، ويحاكي العقل السليم، كلما سهلت مهمته في إيصال مفاهيمه للغير لتغيير كوامن مكنوناته، وكلما كان المنهج عقلياً، ويعتمد على الدليل العلمي، مستفيداً من نتائج التجربة والاستقراء، بعيداً عن الوهم والخرافة، كلما كان منسجماً مع الطبيعة الإنسانية وفطرتها.

وهكذا تباينت مناهج الأنبياء والمبلغين، فقسم منهم اعتمد على الغيب والمعجزة كثيراً لإثبات مدّعاه ونبوته، وآخر اعتمد على المنهج العقلي والاستقرائي، لإقناع محاوريه من خلال دعوته إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وكان نبينا الأكرم (ص) من اتباع المنهج الثاني، ليأتي من بعده من يسير على خطاه ويهتدي بهديه.

وجاء الخطباء والمبلغون بعد ذلك، وقد اختلفوا في مناهج تبليغهم لإيصال ومتابعة رسالتهم، فمنهم من اعتمد المنهج الأدبي والقصصي لإيصال أفكاره، وآخر اعتمد على ذكر

المغيبات والكرامات وأمثالها، وثالث اعتمد على سرد أحاديث الترغيب والترهيب لجلب وكسب واقناع مستمعيه ومخاطبيه، ورابع بالغ في الرثاء والبكاء ليجعل مستمعيه مسكونين في آلام المصائب وفداحتها، ليكون البكاء وسيلة للتنفيس عن الاحتقان النفسي المكبوت الذي يعيشه الأفراد والجماعات.

وكان لمنهج الوائلي (رحمه الله)، أسلوبه المتميز، الذي استفاد من تجارب الماضين وخبراتهم في إيجابياتهم وسلبياتهم، ليضيف على منهجهم ما تتطلبه الظروف الموضوعية والعوامل الضاغطة، ليأتي منهجه مصداقاً للآية المباركة : ((ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ))(سورة النحل، آية 125) .

ليكون منهجاً منسجماً مع الفطرة والعقل والعلم والتجربة وامثال ذلك، ليؤسس لمدرسة سميت باسمه، ليكون رائدها، وسيبقى هذا المنهج مرتكزاً ومنطلقاً للمبلغين والخطباء، لأنه يختزن المقومات التي تقتضي بقاؤه واستمراره، حتى لو غاب شخصه ومؤسسه، لأنه مقعّد على أسس علمية وموضوعية.

أولاً: أهمية البحث :

نظراً لاتساع وسائل المعرفة، وعدم خضوعها لضوابط شرعية أو قانونية إلا ما ندر، فهناك عولمة ثقافية اجتازت الحدود، وكسرت القيود، لتغزو مسرعة بأفكارها عقول أجيالنا بلا كوابح، هذا من جانب، ومن جانب آخر نرى أن التبليغ اعتمد على نمطية محددة، ولم يستطع مجاراة ومواكبة هذا التطور المعرفي وآليات انتشاره، مضافاً إلى اعتنائه بمظاهر وشعارات شكلية أفرغت الإسلام من محتواه، مع غياب المنهجية في الطرح، وعدم خضوعها للضوابط العلمية، مع غياب الرقيب والمحاسب، سواء أكان قانونياً أم شرعياً، واعتماد المبلّغ على المنهج العاطفي الذي يهدف إلى البكاء والإبكاء، وجعل المستمع مسكوناً بالحزن الدائم، يأتي منهج الوائلي ليعدل هذه النظرة، وليوازن بين العاطفة والفكر لإنتاج السلوك الواعي والمسؤول، الذي يحمل الإسلام كرسالة للدين والدنيا، ويؤكد في الوقت نفسه، إن الدنيا هي المستودع والآخرة هي المستقر، فينبغي على الخطيب والمبلغ من إيجاد الموازنة بين هذين البعدين، لهذا جاء منهج الوائلي معتمداً في بحثنا لاقتضاء الضرورة إلى ذلك.

ثانياً : إشكالية البحث :

يتصادم منهج الدكتور الوائلي (رحمه الله) مع اتجاهات عدة، أولها المنهج التقليدي الذي يريد المحافظة على الموروث ونمطيته بما فيه من دون تحقيق وتمحيص وإصلاح أو تغيير، ويتصادم مع من يريد أن يجعل من المنبر وسيلة للتكسب واستدرار العواطف بأي وسيلة كانت لإفراغ المنبر من محتواه ثانياً، ويتصادم ثالثاً مع المتطرفين والطائفيين والمغالين الذين يهدفون قداسة الأشخاص وذواتهم دون مبادئهم ومواقفهم، وغيرها من المعضلات التي تقف حائلاً دون نجاح واستمرار هذا المنهج وتطويره.

ثالثاً : الدراسات السابقة :

امتاز منهج الدكتور الوائلي بتوصيفات ميزته ورجحته على غيره من المناهج الأخرى التي يختص بعضها :

1- بالعرض والسرد التاريخي ونقل الوقائع والأحداث من غير نقد أو تحليل، وهذا ما تبنته معظم كتب التاريخ والسيّر، كالطبري في (تاريخ الأمم والملوك)، وابن الأثير في (الكامل في التاريخ)، وابن كثير في (البداية والنهاية)، وأمثالها، أو بنقل السيّر كما احتوته كتب المقاتل، كمقتل الحسين لابي مخنف الغامدي، ومقتل الخوارزمي وأمثالها.

2- دراسات اهتمت بالطابع الأدبي والتصوير الجمالي والفني عند تناولها موضوعة المنبر الحسيني، أمثال كتابات عباس محمود العقاد، وعلي شريعتي، وأمثالها.

3- دراسات امتازت بالنقد والتحليل لأحداث التاريخ : أمثال ثورة الحسين للشيخ محمد مهدي شمس الدين، وكتاب عاشوراء للسيد محمد حسين فضل الله، وكتب المرحوم باقر شريف القرشي، وغيرها من الكتب، وقد استفاد الوائلي من هذه المناهج وغيرها جميعاً لبلورة منهج جديد يعتمد الدراسات القرآنية والتي افتقرتها هذه المناهج إذ كانت البحوث القرآنية غائبة أو مغيبة فيها، ليكون منهج الوائلي جامعاً في موضوعه، متعدداً في زواياه.

رابعاً : منهجية البحث :

اعتمدت في منهجية بحثي حول: (منهج الدكتور الوائلي منطلق في مواجهة الإلحاد)، على منهجية البحث العلمي والموضوعي وتحليل الأحداث، اعتماداً على النصوص المعتبرة من مصادرها ومراجعها كالصحاح عند العامة، أو توثيقها عند الخاصة، والقرآن مرجعها الأوّل، واعتمدت الرؤية النقدية والتحليلية مستفيداً من المنهج الموضوعي والاستقرائي والمقارن، لاستخراج رؤية منهجية لمنهج الدكتور الوائلي لتلمس توصيفات منهجه تاركاً البحث إلى الباحثين والمهتمين لتطويره وإكماله، ليكون الأكمل والأشمل.

خطة البحث :

يتضمن هذا البحث مقدمة، ومبحثين، ومطالب، وخاتمة.

المبحث الأول

المنهج الخطابي للدكتور أحمد الوائلي

استطاع الوائلي (رحمه الله) أن يستقطب شرائح مختلفة كنخب علمية وحوزوية وأكاديمية وشعبية، ويؤثر على مستمعيه طيلة نصف قرن، لما يمتلكه من منهج توافرت فيه القدرة على العطاء، واستمالة العقول والقلوب، ليشكل منهجه مدرسة خطابية متميزة، إذ يحتاج الباحثون إلى تلمس خطوات هذا المنهج ومفرداته، وهذا ما نسلط الضوء عليه، لمعرفة أهم ملامحه، ضمن مطالب :

المطلب الأوّل: معنى المنهج لغة واصطلاحاً

أولاً : المنهج لغة :

المنهج مأخوذ من نهج : وهو طريق نَهْج : بَيّن واضح، وهو النهج، وَمَنْهَجُ الطريق : وضَحُه.

والمنهاج : الطريق الواضح، ونهجت الطريق : سَلَكتُه(ابن منظور، 2005م، ص4031).

قال تعالى : ((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا))(سورة المائدة، آية 48).

ويلاحظ أن كلمة منهاج الواردة في الآية الكريمة تعني : (الطريق المستمر، يقال طريق نَهْج وَمَنْهَج : أي بيّن، وقال المبرد : الشرعة ابتداء الطريق، والمنهاج : الطريق المستقيم)(الطبرسي، 1995م، 348/3).

ثانياً : المنهج اصطلاحاً :

طريقة يصل بها إنسان إلى حقيقة أو معرفة(الطاهر، 1974م، ص19).

وبعد بيان معنى المنهج لغة واصطلاحاً نوضح أن المنهج عند الدكتور أحمد الوائلي (رحمه الله) يمثل الركيزة والقاعدة التي يشيّد عليها الوائلي أفكاره ومتبنياته ليجعله منطقاً لمواجهة الشبهات والتحديات وعلى رأسها الإلحاد ولوازمه.

المطلب الثاني: مرجعية القرآن

انطلق الدكتور الوائلي (رحمه الله) في تقعيد منهجه على القرآن الكريم كمرجع لصياغة هيكلية موضوعه، وما يتضمنه من مباحث وعناوين ومفاهيم، وقد اقترن منهجه القرآني هذا بقصة حب بينه، وبين ما وقع بين يديه من تفسير الفخر الرازي، الذي كان أكثر كتب التفاسير عشقاً له، لما يحتويه منهج الرازي من نقل الأقوال، ومناقشة دلالاتها وأدلتها لاستخلاص النتائج، وقد أعجب الوائلي بطريقة الفخر الرازي كثيراً، ويقول : [لما وقع تفسير الرازي بين يدي وفتحت جزءاً من نسخ التفسير فوقع بصري على ما اذكر على الآية الكريمة، وهي قوله تعالى : **((الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ))** (سورة الملك، الآية 15) ، ولما قرأت ما كتبه حولها، وتعرفت على أسلوبه في التفسير والتحليل وغزارة فكره ودبباجته العلمية شدني إليه شدّاً، ولم أخرج ذلك اليوم من الفندق، بل عكفت على المطالعة فيه..] (الوائلي، 1988م، ص112).

وكان لهذه الصدفة الجميلة أن تشق طريقاً وتفتح نفقاً ومساراً جديداً في عالم الخطابة، بعيداً عن الأنماط الاستصحابية التي درج عليها الخطباء من قبله، يقول الوائلي : (وكان لهذه القراءة أثر كبير علي للتوجه نحو كتب التفسير والاستفادة من عطائها، وشرعت اجعل عنوان بعض مجالسي آية من كتاب الله، ثم أشرح مضمونها في حدود قدراتي وأوشح ما فيها بمعلومات وشواهد تاريخية وأدبية وعقائدية..الخ، ومن يومها تبرعمت عندي أول خطوات المنهج) (الوائلي، 1988م، ص112).

ولم يكتف الدكتور الوائلي باستهلال مجلسه بآية من كتاب الله ليباحثها بحثاً موضوعياً، وإنما ازداد اهتمامه بمراجعة كتب التفسير للتعرف على مشارب المفسرين ومذاهبهم، وقد أفاد كثيراً من كتب التفسير التي يغلب عليها جانب الاختصاص والتخصص، وزاد همه وهو يتجول على موائد القرآن وروضه ليقتطف من أزهاره ويجني من ثمره ولم يسد نهمه، بل عكف على دراسة تفاسير أُخرى امتازت بنهجها في التفسير الموضوعي، وليفتح باباً ثالثاً ليجد تفاسير تهتم بالتفسير الظاهري للقرآن، ليردفه بباب رابع ليجد التفسير الإشاري بين ناظريه، ومن ثم التفسير الروائي، واللغوي و... الخ، واستطاع الدكتور الوائلي أن يكون سفيراً متنقلاً وهو كالنحلة تختار من رحيق الأزهار أطيبه وأطعمه، وهكذا بدأ المنهج الوائلي ليختار لموضوعه ما يناسبه وفق مقتضيات البحث والحاجة المطلوبة(الوائلي، 1988م، ص112--113).

ونستطيع أن نؤشر بصدق إلى أن الشيخ الوائلي (رحمه الله) مصداق حي وقد التزم بوصية رسول الله (ص) عندما أمر بالتمسك بكتاب الله وعترته من بعده، كما يروي المحدثون ذلك ومنهم، عن أبي سعيد وزيد بن أرقم، أن رسول الله (ص) قال : (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما).

وبصيغة ثانية، عن أبي سعيد، أن النبي (ص) قال : (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وأنِّي تارك فيكم الثقلين، كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وأن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا بما تخلفوني فيهما)(البغدادي، 1990م، 2711/397/1) (الشيباني، 1983م، 990/585/2) (بن سورة، 2017م، 3786/622/5) النسائي (2001م، 802/310/7، 814/437/7) (الطبراني، 1994م، 2678/65/3).

وقد تنبه الدكتور الوائلي لهذه الوصية التي غابت أو غيبت عن الأمة، والتي قيلت لتلزم كل من علم بها وسمعها أو نقلت له، سواء أكان من المخاطبين الذين سمعوها والحاضرين، أم الذين ستنقل لهم وسيتواجدون على طول المسار التاريخي، وهذه الوصية تعطي حكماً إلزامياً بوجوب التمسك بالقرآن والعترة معاً على طول المسيرة الإنسانية؛ لأنه (ص) قال : (إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض). فلا خصوصية زمانية أو مكانية

لمضمون الحديث، فلا يجوز أن نفرق بينهما في الدنيا، كما أنهما لن يفترقا في الآخرة، ولهذا لا يجوز أن نفرق بينهما، وفك آصرة ارتباطهما، لكي نلتزم بأحدهما دون الآخر.

ومن هنا حدث الخلل الإيماني والمعرفي، فهناك من تمسك بالقرآن وترك العترة وقال : حسبنا كتاب الله، وهو ادعاء صريح ومخالف لوصية النبي (ص)، وهناك من تمسك بالعترة وتناسى القرآن وأهمله، وهو مخالف كذلك لوصية رسول الله (ص)، ولهذا قرأ الوائلي وصية رسول الله (ص) بوعي وبصيرة، فأراد الانتصار للعترة من خلال القرآن، وأراد معرفة القرآن من خلال العترة، وبهذا الفهم اعتمد الوائلي القرآن مرجعاً في منهجه الخطابي، وجذّر مفاهيمه، وجعل القرآن من متبنيات مدرسته الخطابية التي امتاز بها عمن سبقه من الخطباء وعاصره، ولهذا لم يتبنَ الوائلي القرآن فقط بل يحضّ عليه كذلك، وينقل المأثور في فضله وتلاوته وتدبره، قال علي (ع) : (.. وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب، واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته، فإنه أحسن القصص، فإن العالم العامل بغير عمله كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق من جهله، بل الحجة عليه أعظم، والحسرة له ألزم، وهو عند الله ألوم)(الوائلي، 1988م، ص144)(عبده، 1412هـ، 216/1). ويؤكد الوائلي في تجاربه ويقول : (.. إن التزامي بهذا المنهج أجبرني على توسيع قاعدة المطالعة بحكم تنوع مضامين الآية، وهو مكسب كبير للخطيب يأتي من بركة كتاب الله، وفي الوقت ذاته يوسع الأفق الذهني للخطيب، ويثري دائرة المعلومات، وتنعكس آثار بركته على السلوك، وهو ما يعتبر من مقومات المنبر الموفق، ومن أسباب الاستعداد للإفاضة منه تعالى) (الوائلي، 1988م، ص114).

ويعد الوائلي (رحمه الله) بمنهجه القرآني رائداً في هذا اللون الخطابي، وأضاف إلى هذا المنهج ملكاته التعبيرية وتصويره الفني والشعري في انتقاء اللفظ لإيصال المعنى، أما غيره من الخطباء ممن سبقه وعاصره فلم يوفق لهذا المنهج، بل اقتصر على تفسير الآية بما جاء في كتب التفسير، فتكون محاضرته الخطابية أشبه بالدرس العلمي منه إلى الخطابة المعهودة، الأمر الذي يخلق الضجر والملل في نفوس السامعين، لاسيما وأذواق ومستويات السامعين مختلفة ومتفاوتة، من هنا اعتمد الدكتور الوائلي القرآن كمرجع وقاعدة للانطلاق لهيكلية بحثه وتفصيل مخرجاته، وهو العالم بأن في القرآن أسراراً تحتاج إلى من يلج ويغوص في أعماقها لاستخراج لآلئه ودرره، فكانت نفحات القرآن جزءاً من نجاح منهجه الخطابي.

المطلب الثالث:موضوعية الطرح

الموضوعية : مصدر صناعي من موضوع، وتعني حيادية وعدم تحيز، وهي مذهب يرى أن المعرفة ترجع إلى حقيقة غير الذات المدركة، وعكسها الذاتية(عبد الحميد، 2008م، 2458/3).

والموضوعية هي : النظر للأشياء كما هي من دون شخصنة، أو تعصب، أو انحياز مسبق سواء أكان دينياً، أم ثقافياً، أم عقلياً، أم مجتمعياً، أم غيره، والتعامل مع الأشياء بحيادية وتجرد من العواطف، وهي نتاج العقل باستعمال المقاييس العلمية وإدراج الحقائق والوقائع التي تدعم وجهة نظر الباحث أو تتضارب مع توجهاته، واستخدامه الطريقة العلمية في البحث

Scientific method، في التحليل للوصول إلى النتائج المستخلصة حتى لو كانت لا تنطبق مع تصورات الباحث وتوقعاته ومتبنياته، وهذا المنهج يجعل من الباحث انفتاحه الفكري وعدم تعصبه وتزمته وتشبثه بالرؤية الأحادية والذاتية، بل تحرره من ذلك ليكون متمسكاً بالروح العلمية، والتطلع دائماً إلى معرفة الحقيقة، دون وجود تصور سابق لنتائج بحثه، وعليه اعتماد الأدلة والبراهين الصحيحة التي تكون بمثابة مقدمات توصله إلى نتيجة بحثه، والتي يلازمها تقييم الفكرة بالفكرة، لا الاسم بالفكرة، وعندها سيبتعد عن شخصنة الموضوعات، ليحترم غيره المخالف ولا يحكم عليه بالكفر والضلال وغيرهما.

بهذه النظرة الموضوعية امتاز المنهج الخطابي للدكتور الوائلي (رحمه الله)، إذ اعتمد على عقلانية الطرح واتباع المنهج العلمي في معالجة القضايا التي تناولها، بتحليل طبيعة الموضوع، ثم عرض الآراء المختلفة حوله، ومناقشتها، ومحاكمتها عبر البرهنة والاستدلال المنطقي، بعيداً عن التهويل، والتعصب، والازدراء، واستغلال الأساليب العاطفية التي تحشو الخطابات بروايات ضعيفة، أو نقولات غير موثقة، وزج الأحلام والأطياف والأوهام وأمثالها، للتحشيد لفكرته وموضوعه، نعم، إنَّ للعاطفة مدخلاً للتأثير على الفكر والسلوك ولكن ضمن الحدود السليمة، والضوابط الصحيحة، والمعايير الشرعية، لا أن تتحول إلى مسرح لعرض الأساطير، والخرافات، وشطحات الغلو والمبالغات، فالتزم الدكتور الوائلي بمعادلة السلوك المتزن عبر عاطفة معتدلة وفكر واع، ليمازج بينهما، ويفاعلهما وفق أسس علمية وموضوعية ومنطقية.

كما أن الدكتور الوائلي يدرك مسألة تعاقب الأجيال واللغة التي تناسبها، إذ إن مسألة التلقي تختلف وتتفاوت من جيل إلى آخر، فإذا كان المنهج العاطفي مقبولاً ومؤثراً في عصر وجيل سابق، فهو ليس بالضرورة ناجعاً في جيل لاحق، لاسيما أن شرائح المثقفين والمتنورين في هذا العصر لا تقبل إلا بالطرح العلمي الممنهج، وإذا لم يجد هذا الجيل ما يروي ظمأه، فيجد الباب مشرعاً من قبل المدارس والتيارات الأُخرى والتي تقدم بضاعتها وأفكارها بأساليب عصرية وجذابة، ولهذا لا بد أن يتوافر المنهج العلمي والعقلاني في الطرح الديني، وقد تنبه الوائلي إلى ذلك في وقت مبكر فانتهج هذا الأسلوب، ليستقطب الشباب والمثقفين والأكاديميين، ليقبل هؤلاء على تلقي محاضراته واطروحاته، وهذا دليل على نجاعة منهجه وفاعليته.

وحرص الوائلي (رحمه الله) كثيراً على إدامة وديمومة معادلة (السلوك المتزن)، إذ يرى أنّ التركيز على العاطفة وحدها هو إفراغ للفكر من محتواه، كما أن التركيز على الفكرة لوحدها دون تأطيرها بالعاطفة يجعلها جافة وجامدة لا جذب فيها ولا تتفاعل معها العواطف والأحاسيس، لهذا كانت الموائمة والمصاهرة بين العاطفة والفكر، لتغليف الفكرة بلباس العاطفة، ليأتي بذلك السلوك المتزن والمسؤول.

ونكتفي هنا، بما يقوله (رحمه الله)، حول توافر الأهلية العلمية عند الخطيب فيقول : (إن رسالة المنبر بناء الأجيال، وقد أصبحت مسؤوليات الخطباء ثقيلة ومهمتهم شاقة بعد أن صعد الزمان بأهله، ووضع المنبر مباشرة أمام سمع العالم وبصره عن طريق وسائل الإعلام

المرئية والمسموعة، وصار الناس يستمعون إلى اطروحتنا ويقرأون عقولنا وأفكارنا ليحكموا عليها بعد ذلك بما يرفع أو يضع، ومع نتيجة الحكم يتعزز مكان المنبر من الساحتين الإسلامية والإنسانية، فهل هناك ما هو أكثر تحفيزاً لنا على مضاعفة الجهد والعمل الدؤوب من أجل أن نكون أو لا نكون؟)(الوائلي، 1988م، ص124).

ولأهمية المنهج العلمي والموضوعي، نلاحظ ما أكده الشهيد محمد باقر الصدر (قدس) للمرحوم الوائلي عندما كانا يتباحثان من أجل إنشاء وتأسيس المؤسسة الخطابية وقد اتفقا على عناوين رئيسة منها : (أن يكون رعيل الخطباء قسماً من الحوزة لا قسيماً لها، بمعنى أن يسير هؤلاء الخطباء على ما يسير عليه طلاب الحوزة العلمية من خطوات في المنهج والمضمون، وفي سلوكهم وهديهم والتزامهم بأجواء الحوزة) (العاملي، 2007م،497/3).

وركّز الشهيد الصدر (قدس) على قضية المنهج الذي ينبغي أن يسلكه الخطيب وأن يكون كالمنهج الذي يسلكه طالب الحوزة من حيث الدقة والمضمون وهو بصدد استنباط حكم شرعي معين، يعالج فيه مسؤولية الفرد وتكليفه، فكيف إذا كان استنتاج واستنباط الحكم من الخطيب يعالج قضية إسلامية ومجتمعية عامة وخطرة، فعندها ينبغي له البحث والتمحيص والتدقيق إن لم يكن أكثر من طالب الحوزة فليساويه على أقل تقدير، ومن هنا أتفق الشيخ الوائلي مع الشهيد الصدر على عناوين منها : (تقعيد المنبر، بمعنى أن يصدر المنبر عن قواعد وعلم إذا تناول آية مفردة من مفردات خطابه، فيكون مثل خطيب المنبر مثل طالب العلم الفاضل، إذا عالج مفردة في موضوع شرعي حيث يعالجها بمنهجية، مثلاً : إذا عالج مسألة فقهية نظر إلى دليلها، فإذا كان من غير القرآن الكريم يبدأ بتوثيق الدليل من حيث السند، ثم يبدأ بتقييم الرواية وتحقيقها من حيث عدم الزيادة والنقص والتحريف، ثم ينتقل إلى ألفاظها، ويسأل : هل هي مما لا يحتمل إلا معنى واحداً، أو يحتمل أكثر من معنى؟ فيصنفها إلى نص أو ظاهر أو مؤول، ثم يجمع الروايات حول الموضوع ليرى مدى تأثيرها في دلالات الرواية على المعنى المراد، أو الحكم المراد، ثم يبحث عمّا يعارضها ويعمل وسائل التعادل والترجيح..الخ، وبالاختصار : أن يسلك الخطيب مسلك الفقيه في معالجة ما يطرحه على المنبر من عقيدة أو أحكام) (العاملي، 2007م، ص496).

وبهذه المنهجية، وبهذا التواصي المرجعي، وعبر مؤسسة الخطابة التي ستكون تحت إشراف ورعاية المرجعية، تأتمر بأوامرها، وتنتهي بنواهيها، سوف يقطع الطريق عن الكثير من الهواة والذين صنفوا على الخطباء، لا لشيء إلا لملكة الصوت الجميل عندهم، وبالتالي يتصدوا لأخطر مهمة وهي التبليغ والتي هي مسؤولية الأنبياء والرسل، ولهذا يشكل بعض الخطباء خطراً كبيراً على الإسلام والمسلمين وهم لا يتمتعون بأهلية علمية تعتمد على معايير النهج العلمي والبحث الموضوعي، وفوق هذا وذاك يطرحون أفكارهم ومفاهيمهم وعقيدتهم للأمة ليوهموها أنها الإسلام، ورسالة محمد بن عبد الله (ص) وآله الطاهرين، وقد هُيأت لأمثال بعض الخطباء كل وسائل الانتشار والدعاية وأصبحوا يشكلون عبئاً على هوية الإسلام عموماً والتشيع خصوصاً، لهذا يعتبر المنهج الموضوعي مسؤولية كبرى لمن أراد أن يبلغ شرع الله وسنة نبيه (ص) وآله الطاهرين.

المطلب الرابع: واقعية الخطاب

التبليغ مهمة رسالية قام بأعبائها الأنبياء والمرسلون، ومن تبعهم من القادة والدعاة ممن اهتدى بهديهم وسار بنهجهم، وهي مسؤولية شرعية، وأمانة الهية، وينبغي لحملتها ان ينقلوا رسالتهم التبليغية بصدق وإيمان وواقعية، بعيداً عن الكذب والغلو، والأساطير، والإدعاءات، والخرافات، والأحلام، والأوهام، وأمثالها، والواقعية من خصائص المبدأ الصالح الذي امتاز بها، وافتقدتها سائر الشرائع، هذه الواقعية هي أقرب النظريات الفكرية والسياسية التي تراعي واقع الإنسان، سواء على مستوى حياته الشخصية، أم الاجتماعية، أم تلبية حاجاته المادية والمعنوية، هذه السمة التي لم تقتصر على الأحكام الإسلامية فحسب، بل شملت فكر الإنسان، وأخلاقه، وسننه، وآدابه، وفلسفته، وشعاراته، سواء كان على المستوى النظري، أم تتعداه إلى السلوك والممارسة العملية، والبشرية بحاجة إلى فكر وفلسفة تلبي حاجاتها نظرياً وعملياً، وتواكب تطورها بشكل واقعي بعيداً عن المثالية المفرطة، والأوهام المقرفة.

وقد عرف الوائلي بحسه المرهف، وخطابه الواعي، وهو حريص أشد الحرص على تهذيب خطابه، لاسيما المتعلق بالملحمة الحسينية، وهو المحقق البارع في هذا المجال، وتميز بالحصافة الدينية والعقلية الوقادة والحذرة والتي تحتم عليه نبذ ورفض كل ما لا ينسجم مع الدين والعقل والفطرة والواقع، وإن خالف المستصحب المشهور الذي لا سند له ولا توثيق، ولا قيمة اعتبارية له، فضلاً عن رفضه وعدم مقبوليته، لأنه يخالف الأسس والمبادئ العقلية والمنطقية، ويقف الوائلي ضده وإن كلفه ذلك ثمناً مادياً أوَ معنوياً، وسيضع نفسه في دائرة الاتهام والتصادم مع تيار الخرافة ورجالاته الذين يعتاشون على عواطف ورغبات العوام والبسطاء، من هنا ننقل ما يقوله الوائلي في بعض مذكراته قائلاً : (أذكر أني اجتمعت في كربلاء بدار الدكتور احمد ثامر، وقد انتقل إلى دار جديدة، وأراد أن يباركها بذكر أهل البيت (عليهم السلام)، وهي في حي الحسين، وأثناء الجلوس رأيت حركة غير عادية فسألت، فقالوا : جيء بالشيخ فلان يحملونه على كرسي، وهذا الرجل يروي أثناء خطابه أن الحسين (ט) قتل يوم الطف اثني عشر ألفاً، فانتظرت حتى فرغ المجلس وخرج الناس، فقلت له : يسمح لي فضليه الشيخ بسؤال؟ قال : نعم، سل، فقلت له : هل قاتل الحسين (ט) يوم الطف بمعجزة أم بصورة عادية؟ قال : بل صورة عادية، قلت له : لو أن اثني عشر ألف دجاجة تهيأ وتعلق للذبح، ويتولى ذابح ماهر قطع رؤوسها بأن يأخذ واحدة واحدة لقطع رأسها، فكم تحتاج كل واحدة من الوقت؟! ولنفترض أنها ربع دقيقة، معنى ذلك أن الوقت الذي يستغرقه ذبحها ثلاثة آلاف دقيقة، تقسم على ستين، يكون الوقت المستغرق خمسين ساعة، أي (يومان وساعتان)، هذا على الفرض المذكور، أما لو كان القتيل رجلاً من الفرسان فيحتاج كل واحد إلى وقت طويل، والحال ان مدة واقعة الطف القتالية لا تتجاوز كلها بضع ساعات، فلماذا هذه الروايات التي تتركنا مهزلة بين الناس، فامتعض –رحمه الله- وخرج وهو غاضب) (الوائلي، 1988م، ص82).

ولو أردنا استقراء أمثال هذه الحوادث والقصص لطال بنا البحث، ويقف الوائلي أمثال هذه القصص والتي يراد منها استدرار عواطف الناس لغرض إبكائهم، أمثال ما يذكره (رحمه الله) في قضية زواج القاسم بن الحسن (عليهما السلام)، وكيف يناقشها علمياً، بضعف سند الرواية، ودلالتها، مضافاً إلى ظروف المعركة وتداعياتها التي لا تسمح بمثل هكذا زواج، وأمثال ذلك كثير(الوائلي، 1988م، ص82).

ولم يكن الشيخ الوائلي (رحمه الله) لوحده في هذا الميدان، وهو يواجه هذه الخرافات والأساطير، إذ سبقه مراجع وعلماء أمثال السيد أبي الحسن الاصفهاني، وشرف الدين وغيرهم، وقد شاطره ممن كتب وألف وخطب وحاضر في النهضة الحسينية، فنلاحظ مثلاً : ما كتبه المفكر الكبير والمبدع الشهيد مرتضى المطهري (رحمه الله) في ملحمته الحسينية وهو ينقل قصة حيكت عن ضرب علي (ع) لمرحب الخيبري في معركة خيبر، وكيف أن الله تعالى أرسل جبريل ليحول بين سيف علي والكرة الأرضية، لأن الضربة لو وقعت على الأرض – كما تقول الرواية- لقدتها نصفين، بعد أن قدت مرحباً بن عبد ود العامري نصفين، بل ((نصفين متساويين تماماً وأنه لو وضع كل نصف في كفة ميزان لما اختلفا شعرة واحدة))(المطهري، 1990م، 33/3).

والأدهى من ذلك –والكلام للشهيد المطهري- أن جبريل قد جرح بسبب تلك الضربة مما أدى إلى مرضه اربعين يوماً، الأمر الذي أخرّ صعوده إلى السماء كل تلك المدة، ولما صعد إلى السماء وسأله ربه، أين امضيت تلك الأيام الأربعين؟ (وكأن الله تعالى لا يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور)، قال : ربي إنك أمرتني بالنزول تحت سيف علي وقد فعلت، ولما كنت قد جرحت من جراء تلك الضربة فإنني كنت أداوي وأضمد جراحي كل تلك المدّة (الروازق، 2004م، ص180) (المطهري، 1990م، 33/3).

ولهذا تمثل الواقعية في الخطاب في منهج الدكتور الوائلي نقطة ارتكاز لتحكيم العقل والمنطق في قبول أو رفض ما يروى وما يحكى، ويحتاج الباحث إلى انتفاضة شجاعة لتنقية وغربلة التراث، وما ألمّ به من كذب، وافتراء، وتزوير وتحريف، وغيرها، لاسيما أنّ أغلب الموروث قد كتب منسجماً مع إرادة ورغبة السلاطين والحاكمين، الذين حكموا البلاد، واستعبدوا العباد، بسياسة الترغيب والترهيب، مضافاً إلى روايات الغلو ، وما دس في تراثنا ومروياتنا وتفاسيرنا من إسرائيليات، وما نشاهده اليوم من زيادة موجة الغلو والبدع والأساطير وانتشارها بشكل يندى لها جبين الإنسانية، وكلها بعيدة عن الواقعية في المنهج، ولها جذور ومذاهب واتجاهات في تراثنا الموروث، وقد بدأت تنشط لإعادة إنتاجها من جديد، لتوفير الأرضية اللازمة لذلك، ولها إعلام ومال ورجال، ويقف وراءها اجندات ومؤسسات ودول. (كما يقول الوائلي لاحقاً)، والغريب أن ما ينشر ويسمع ويشاهد من هذه المدارس المشبوهة، وهي تعرض هذه المفاهيم الخاطئة باسم الدين وباسم التولي والحب لآل البيت (عليهم السلام).

ويذكر الوائلي في تجاربه حول المنبر، ويقول :هناك الكثير من الدواهي لا أحب ذكرها، لاسيما في أجواء المصيبة، حيث تذكر أمور تقشعر لها الجلود، وإني وإن كنت لا

استكثرها على أعداء آل محمد (ص)، وهم قد عرفناهم يعملون أضعافها لأنهم معادن خسة، لكن ينبغي هنا أن يتوافر أمران : الأوّل : التأكد من مصادر الرواية في السند، ثانياً : أن لا يصطدم المضمون مع الأسس العقلية، كما ينبغي أن نلحظ كرامة أهل البيت (ع) فوق كل ذلك قبل أن تجمح بنا العاطفة ونحن نسميها حباً لهم(الوائلي، 1988م، ص79-80).

المطلب الخامس: وسطية الخطاب

ونريد من الوسطية والاعتدال، وسطية الطرح والخطاب، بمعنى أن تعاليم الخطابة ينبغي أن لا تميل إلى جانب وتدع جانباً آخر، ولا تشدد في جهة على حساب أُخرى، سواء أكان ذلك في الفكر أم السلوك، وذلك لأن الوسطية قائمة على الفطرة الإنسانية والعقل السليم، فلا تبتعد الوسطية والتوازن عن حكم العقل لتجنح إلى الخيال والخرافة، وما دام المبدأ الإسلامي وسطياً، فينبغي للطرح الخطابي أن يكون كذلك، معتدلاً ومنسجماً مع متطلبات الفطرة وطاقة الإنسان، لكي لا يورث النفرة في النفس، والإرباك في التصديق.

والخطاب الواسطي ينبغي أن ينطلق من الوسطية في الإسلام والتي عبر عنها، [إنها منهج قائم على الاعتدال، أساسه الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتالي هي أحسن للإقناع وإقامة الحجة، ثم الجدال لمن كابر وعاند، ولكن دون اكراه ولا قهر، فمن آمن فله ما لنا وعليه ما علينا، ومن اختار دينه فلا حرج أن يكف عن المسلمين يده ولسانه، قال تعالى : **((لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ))**(سورة البقرة، الآية 256)](المؤمني، لا.ت، ص6) (آل نواب، 2004م، ص11).

أصبحت وسطية الخطاب ضرورة، تفرضها الظروف الموضوعية والعوامل الضاغطة، إذ لم تعد الحدود والسدود حواجز عن نقل الأفكار والمشاهد إلى الآخرين، فعالم اليوم تحول إلى قرية واحدة، وشيعة أهل البيت (عليهم السلام)، لا يعيشون لوحدهم في صحراء نائية بعيدة عن حواضر الإسلام، ولا يمكنهم الانعزال عن محيطهم، ومجتمعات أوطانهم، والمنبر التبليغي يجب ان يوجّه الجمهور الشيعي إلى الانسجام مع محيطه، وفي الوقت نفسه عليه أن يتحمل مسؤولية الدفاع عن خط أهل البيت (عليهم السلام)، ومنهجهم الإسلامي الأصيل، وقد أدرك الشيخ الوائلي مدى الحاجة في ساحة الوطن العربي والإسلامي إلى توضيح معالم مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وبيان حقيقة مواقفهم وآرائهم العقدية والفقهية وغيرها في مواجهة حملات التشويه والتعتيم المنظمة، والتي تغذيها قوى سياسية ومصلحية، لا تريد الاستقرار والوحدة لشعوب المنطقة وأمة الإسلام.

لكن الشيخ الوائلي اعتمد منطق الاعتدال في بحث الخلاف المذهبي، دون إثارة، أو إساءة للطرف الإسلامي الآخر، وكان يناقش الفكرة بغض النظر عن قائلها بتنقيصه أو ازدرائه، انه يرد الشبهات، ويفند الاتهامات، ويوضح الحقائق بمنطق علمي موضوعي من جانب، وبأسلوب الاعتدال والوسطية من جانب آخر، وضمن إطار الدعوة إلى التعارف والتباني على المشتركات، والتفاهم والتعاون حفاظاً على وحدة الأمة، ومصلحة الأوطان والشعوب.

إن مواجهة الفتن الطائفية، والإثارات المذهبية ، لا يصح أن تتم بمثل هذه الأساليب السيئة التي يستعملها الجاهلون، والمغرضون، بالتحريض المتبادل، والتعبئة المضادة، بالسب، والشتم، واللعن، والتشهير، والتسقيط لرموز الطرف الآخر، وذكر المثالب والمطاعن، لأن ذلك يكرس الفتنة، ويحقق أهداف الأعداء، في تمزيق الأمة، وإضعاف الدين بمختلف مذاهبه، وبمنهجية الوائلي ووسيطة خطابه الوحدوي والمعتدل، استطاع الوائلي أن يحرز نجاحاً باهراً، لصالح الوحدة، والانتصار للحقيقة، وإنصاف مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، ومن مؤشرات هذا النجاح التقدير الذي حظي به الوائلي في الأوساط العلمية والثقافية من مختلف المذاهب، إذ يحرص كثيرون منهم على متابعة محاضراته، والاستماع إلى خطاباته، ويشيد الكثيرون منهم بمنهجيته واعتداله، وسعة أفقه الثقافي.

وينبغي للخطيب أن يتمتع بخطاب وسطي ومعتدل، وأن تكون سجيته وطبعه على ذلك، سواء أكان خطابه مع الأخر المختلف معه فكرياً ومذهبياً، أم الآخر الذي يختلف معه في بعض الجزئيات، وهذا ما انعكس من داخل المدرسة الخطابية التي تواجد فيها خطيبان لامعان، أولهما السيد صالح الحلي، وثانيهما الشيخ محمد علي اليعقوبي الذي استطاع أن يستقطب أنصار صالح الحلي ويضعف مجالسه بسبب منهجه الموضوعي وخطابه الوسطي والمعتدل، بينما كان السيد صالح الحلي : (يمتلك قدرات عالية في مجال الخطابة والتأثير على المستمعين بشكل كبير، وكان الخطباء الآخرون لا يرقون إليه بحال من الأحوال، لكن مشكلة السيد صالح الحلي أنه كان قاسياً على من يخالفه الرأي، وقد دخل بقوة في المعركة التي شنت ضد السيد محسن الأمين العاملي والسيد أبو الحسن الاصفهاني في موضوع الشعائر الحسينية – وتحريمهما للتطبير وضرب السلاسل والشبيه- وأخذ يؤجج المعركة من على المنبر مستغلاً قدراته الخطابية، ممّا دفع السيد الاصفهاني إلى تحريم الاستماع إلى مجالسه إذ استمر على هذا النحو) (الشامي، 1999م، ص291).

وقد دأب الدكتور الوائلي في خطابه الوسطي والمعتدل، أن يطرح الآراء بروح رياضية، ويناقش دلالتها بالحجة والبرهان، حتى يوصل المستمع إلى اقتناص واستنباط النتيجة والحكم والموقف من خلال الاستدلال العلمي المعتمد على مقدمات صحيحة، وكان لا يبخس حق أعداء آل محمد (o)، فيعرض الحادثة أو الواقعة أو الشخصية بما لها وما عليها، وكأنه رجل لم تصب عاطفته ومشاعره وأحاسيسه الانحياز والفئوية والتعاطي مع رجال مذهبه وأئمته المعصومين (عليهم السلام)، وهذه الميزة من مميزات المنهج للخطيب الناجح والهادف لبناء عقلية المسلم بصورة صحيحة، بعيداً عن تحفيزه وإثارته على التعصب الأعمى دون معرفة أصل الحقيقة أو أصل الحادثة، ومعلوم أن الالتزام بكامل الموضوعية والطرح الوسطي ليس امراً سهلاً ويسيراً، فهو يحتاج إلى تربية ذاتية، وترويض للنفس، ومجاهدة للنفس ضد أهوائها ورغباتها ومتبنياتها، لكي تحصل للإنسان حالة الاتزان في شخصيته، بعيداً عن الانفعالات وتأثيرات الذات وأهوائها على حساب الحقيقة، وهذا ما الزم الشيخ الوائلي نفسه به(الروازق، 2004م، ص168).

المطلب السادس: موسوعية الثقافة

ينبغي للخطيب أن يكون موسوعياً في ثقافته، لأنه يخاطب شرائح مختلفة من مستمعيه، فيهم طالب العلم الحوزوي، والجامعي، والأمي، وفيهم من يخالفه معتقداً وفكراً، ويحتاج من الخطيب والمتحدث أن يأتي بمجموعة وثائقية فيها من الدلائل والحجج العلمية في مقارعة التيارات الفكرية المتناقضة حد التقاطع، وكان على الخطيب أن يبعث برسائل فيها قوة في الطرح، ومتانة في الدليل والحجة والبرهان، وأن ينتقل ويختار من أبواب المعرفة المختلفة في توجهاتها الفكرية، ومتبنياتها الأيديولوجية، لنقدها وتحليلها، من أجل الانتصار للحق وبيان الحقيقة.

ويؤكد الدكتور الوائلي بمنهجه واعتماده القرآن مرجعاً ومنطلقاً، وتعرفه على كتب ومناهج المفسرين، ما يجعل الباب أمامه مشرعاً للتعرف على حقول المعرفة الأُخرى، التي أشار إليها القرآن الكريم بومضات نورانية، لكي تحرّض الإنسان للانطلاق والسير نحو الآفاق، والغور في ملكوت السماوات والأرض، وهذا ما يتطلب من الخطيب أن يكون متنوع المعرفة وشمولي الثقافة، وأن يقرأ القديم والحديث والمستجد من شتى العلوم والمدارس، (والاستفادة من تطبيق المقاييس التي رسمتها العلوم المختلفة في معالجة الأمور الإنسانية؛ لأن مادة المنبر مهمتها بناء الإنسان من حيث تغذيته بالمعلومات، وتوجيهه وإرشاده وتحريضه للفوائد دنيوياً وأخروياً، وإذا كان كذلك ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار أن من ينشأ على عقيدة أو مذهب ويشب عليه، فليس من السهل زحزحته عن هذا من ناحية، ومن ناحية أُخرى لا ينبغي أن نحكم عليه بأنه من حطب جهنم، مع أنه عاش وولد بأجواء غذته عقيدته فيها بالتقليد فشب عليها، وهو يرى أنها الحق، فلا بد من أن نأخذ ذلك بعين الاعتبار، ويكون دورنا أن نحرك إرادته لحسن الاختيار، ونضيء له الطريق ولا نحقد عليه، فلو كنا مكانه لاعتقدنا عقيدته والعكس بالعكس) (الوائلي، 1988م، ص118).

لهذا يهدف الوائلي في منهجه أن يكون موسوعياً جامعاً لشتى العلوم المعرفية لغرض تحريك إرادة المستمع وإرشاده لحسن الاختيار، وهديه على الطريق الموصل للحقيقة.

ويعترف الوائلي، بأن موسوعية المنهج ستكون على حساب الكيف والتخصص، لأن كثرة أبواب المعرفة وتنوعها، معناه الأخذ من كل علم الشيء البسيط واليسير، بخلاف التخصص في علم بذاته، فإنه يجعل من الباحث مبدعاً فيه وجامعاً لشتاته(الوائلي، 1988م، ص117-118).

إن لجوء الوائلي إلى الثقافة الموسوعية، ناتج عن أصناف المستمعين والحاضرين لخطابه، وهم متفاوتون في مستواهم العلمي والمعرفي وفي متبنياتهم الفكرية، وعلى الخطيب أن يطوف بأفكاره عليهم جميعاً لينثر على رؤوسهم وروداً من المعرفة تتناسب مع قابليات كل واحد منهم، ففي الوقت الذي يخاطب به العلماء في حالة استعراضية لأبعاد مضامين أخلاقية مثلاً، انتزعها من آية معينة، لتكون عنواناً وموضوعاً للبحث، نرى الخطيب يتطرق إلى منابع الاستنباط بعد الاستفاضة الاستقرائية، والخروج بالحكم الشرعي المناسب للآية، نرى الخطيب كذلك لا يغفل عن مخاطبة الشريحة المثقفة من سامعيه حينما يستعرض مقومات الأخلاق مثلاً

ويذكر أقوال (نيتشه الألماني)، وماركس، وبعض علماء التربية في الغرب، ثم المقارنة بين أقوالهم وأقوال الرسول (ο)، وسيد الأخلاق علي بن أبي طالب (υ)، بعد ذلك يتعرض إلى قانون حماية الإنسان، وأثر الأخلاق السائدة في المجتمع، ودور الفقير والغني، مع توشيح المحاضرة بالشواهد الشعرية والأقوال الأدبية، ثم الاستحضارات التاريخية وما يرافقها من حوادث مؤلمة جراء فقد عنصر الأخلاق، ومن ثم أثر هذه الأخلاق على عبادة الإنسان، مع ذكر الأحكام الشرعية لهذه العبادات، وهنا يحاول الوائلي استعطاف واستقطاب جمهور عوام الناس في محاولة إرشادية هادية، لا تخلو من حكاية طريفة، تعيد ذاكرة المستمع وتهيئ ذهنيته للمطلب الأساس الذي من اجله صاغ الخطيب الوائلي محاضرته، وبطريقة فنية رائعة يحاول استحضار موقف كربلائي مروّع ينسجم مع وحدة الموضوع، وينتهي بالمصيبة التي غالباً ما تأتي عفو الخاطر(الروازق، 2004م، ص165).

إن طريقة الوائلي الإبداعية، ومنهجيته في الطرح، وثقافته الموسوعية، تشير بشكل لا يقبل الشك إنه الخليفة المنتظر للشيخ اليعقوبي الذي سبقه، بيد أن الشيخ الوائلي ومع مرور الزمن كان يعطي صورة أُخرى أكثر قوة وبريقاً، فلقد كان ينتزع الإعجاب بشكل أكبر مما كان عليه سلفه الشيخ اليعقوبي، لاسيما وبروز الوائلي في مدة حساسة شهدت سيطرة الاتجاهات المادية على الساحة، وكان المد الشيوعي والقومي لهما تأثير كبير في الثقافة العامة، ومع هذا استطاع الوائلي بفضل كفاءته ومقدرته العلمية وسعة اطلاعه الموسوعي من فرض منهجه وسط المجتمع (الشامي، 1999م، ص292).

وبهذه الرحلة التي يطوف بها الوائلي على رؤوس الحاضرين، من خلال ما اكتنزه من معرفة موسوعية، ولإعطاء كل ذي حق حقه من الحاضرين، ليخرج الجميع وقد أخذ من الوائلي متاعاً مفيداً من خلال منبره الواعي، والذي يريد الوائلي من خلاله استنهاض المجتمع وتحرره من حالات الاستبداد والتعسف والسيطرة الفكرية والثقافية الكافرة والملحدة والمهيمنة عليه، نرى الوائلي يوضّح معالم الطريق ويستنهض الهمم، ويهز الوجدان، ويحرك الإرادة، ويشير إلى أقصر طريق موصل للحق والحقيقة.

المطلب السابع: عصرنة الخطاب

الملاحظ أن : لكل مرحلة رجالها وخطابها الذي ينسجم مع ظروفها وعقلية جيلها وتوجهاته، ونخطئ كثيراً عندما نظن أن أسلوباً واحداً في الخطاب بنمطية معينة هو الأسلوب الانجع لجميع الناس للتأثير عليهم وحثهم على الإيمان والعمل، لأن الناس طوائف مختلفة، وجماعات شتى، وثقافات متباينة، وانتماءات متكاثرة، وعقول متفاوتة، وعادات وتقاليد عديدة، فلا يمكن إختزال كل هذه الاعتبارات في طريقة واحدة وبأسلوب تقليدي متعارف، لاسيما وأن مدخلية الزمان لها تأثير في سماع المتلقي بقبول الخطاب وحيثياته.

وفي الحكمة المنسوبة لأمير المؤمنين (υ) والتي أنفرد بها ابن أبي الحديد المعتزلي في شرحه للنهج بقول علي (υ) : (لا تقسروا أولادكم على آدابكم، فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم)(المعتزلي، بلا.ت، 102/267/20).

والتي يراد منها : النهي عن قسر وإكراه وإجبار الأبناء على عادات وتقاليد كانت منسجمة وملائمة لعصر الآباء، كطريقة مأكلهم وملبسهم وغيرها، والتي لا تتسق مع جيل الأبناء وتطلعاتهم، ولا تنهى هذه الحكمة عن نبذ الأخلاق التي تعد سجايا وصفات تتلائم مع الطبيعة الإنسانية، وهي ثابتة لا تتغير بتغير الزمان ولا بتعاقب الأجيال، لهذا نحتاج إلى خطاب يتناسب مع تطلعات وطموحات الأجيال، يكتسي ثوب الحداثة ويحافظ على المضمون والأصالة.

وامتاز منهج الوائلي ببعض مفرداته بأنه خطاب حداثوي ومعاصر، يهتم بمعالجة مشاكل الحياة المعاصرة ومتطلباتها، ويطرح النظريات الحديثة في الفلسفة، والاقتصاد، والاجتماع، ومختلف ميادين المعرفة، ويستعمل المصطلحات الأكاديمية والعلمية، وتقريب مضامينها ومدلولاتها إلى أذهان المستمعين، ومحاولة ربط هذه الاصطلاحات الحديثة بموروثنا من القرآن والسنة لتجسير العلاقة بين الماضي والحاضر، من دون المساس بالثوابت والمبادئ، بل بتأصيلها لا استئصالها، وأكسائها حلّة جديدة من خلال التطور العلمي والتقني.

ويقول الوائلي (رحمه الله) : (ولعل أهم ما التزمته في خطوات المنهج مواصلة رفد المعلومات التراثية من عقائد وأحكام وتاريخ وشؤون أخرى ومحاولة تطعيمها بما يمكن أن يخدمها من المعلومات الحديثة، لأني أؤمن اشد الإيمان بأن رسالة المنبر في بناء الأجيال لا تتحقق إلا بتوجه رواد المجالس إلى الخطابة بإقبال، وذلك لا يحصل إلا إذا وجد المستمع جديداً عند المنبر، وهذا يبعثه على متابعة عطاء المنبر وتلقيه بشوق، وبالتالي بالتأثير به، إن هذا التجديد من أول آلياته التجول في أبعاد المعرفة، وملازمة الكتاب، واتقان الأسس العلمية التي تعطي الخطيب قدرة على تحديد المعلومات عبرها، ليرى ما هو صائب منها، وما هو غير صائب، وما يلتقي بمقاييسنا عن عدمه، وما فيه أصالة عن ما ليس فيه أصالة) (الوائلي، 1988م، ص121-122).

واستطاع الدكتور الوائلي من خلال ما يتمتع به من حس أدبي مرهف، وذوق بلاغي رصين، وشاعرية هادفة، أن يوّظف هذا كله من خلال شعره وإنتاجه الأدبي، وخطابه البليغ والمؤثر، واستشهاده بروائع الشعر العربي القديم منه والمعاصر، وتصويره المواقف الإنسانية بخيال أدبي رفيع، أن يطل على معالجة القضايا الاجتماعية، ومعالجة الأمراض الإنسانية، وتوظيف ما وصل إليه العلم من اكتشافات وتطور مذهل وربط كل ذلك بالله تعالى وبشرائعه المقدسة، واستكشاف مقاصد الشريعة من خلال هذه النهضة العلمية، لتسويق الإسلام إلى الجيل الواعد بلغة عصرية حديثة، تواكب التطور والتحول، لما يحمله الإسلام من مقومات تقتضي البقاء والاستمرار، كارتباطه بالمبدأ، الذي يتصف بأنه رباني، عالمي، وسطي، شمولي، واقعي، إنساني، حقيقي، صالح لكل زمان ومكان، وعلينا استنطاق مكنوناته وثوابته وتوظيفها مع حركة الحاضر ومتطلباته، واستشراف المستقبل ولوازمه، وأن منهج الوائلي امتاز بإبراز هذا المبدأ متماشياً مع لغة الحداثة والعصر والتطور.

المطلب الثامن: وحدوية الطرح

امتاز منهج الوائلي بأنه وحدوي، يهدف إلى إنشاد وحدة الأمة الإسلامية، وقد كَرس الوائلي (رحمه الله) خطاباته عبر منبره، أن يكون حاملاً للواء وحدة المسلمين وصيانتهم وتقوية الأصرة بينهم، لأنه يؤمن بالاختلاف بين المذاهب الإسلامية، ويحصره في دائرة الاختلاف في الرأي والاجتهاد والقائم على الدليل عند كل مذهب، ويحاول الوائلي جاهداً أن لا يتحول الاختلاف إلى خلاف، ولهذا يقول : يجب ان يتبنى المنبر الدعوة إلى أن يتعايش المسلمون فيما بينهم على أساس من الإسلام مع بقاء كل منهم على ما عنده من آراء، ما دام يقر بالشهادتين ولا ينكر ضرورة من الضرورات الإسلامية، وإلاّ فليس من الواقعية في شيء ان ندعو المسلم إلى الانسلاخ مما يحمله من آراء، والانتقال إلى الآراء المقابلة، ولكن نشرح له الحقائق لدراستها، ويترك له الاختيار والسير حسب قناعته، وحسابه بعد ذلك على الله وحده، إننا – لاحظ - ندعو إلى منبر من بعض مهماته، بل رأس مهماته القيام بدور الدعوة إلى التعايش تحت لواء الإسلام) (الروازق، 2004م، ص166) نقلا عن (الوائلي، 1988م).

والمتابع لخطابات الدكتور الوائلي يلمس بصدق هدفيته وسعيه للوحدة الإسلامية، ونبذه للفرقة، واعترافه أن وراء فرقة المسلمين دوافع سياسية تقوم بها دول ومؤسسات لها أجندات مدعومة بمال وإعلام ورجال وغيرها، من أجل أضعاف المسلمين وكسر شوكتهم من جانب، والسيطرة على مواردهم وقدراتهم المختلفة من جانب آخر، ومعلوم أن دعوة الوائلي للوحدة الإسلامية، لا يريد أن يلغي المذاهب، بل يقول: (أكدت على الانفتاح على تراث المذاهب الإسلامية الأخرى والتفاعل معها نقداً وتقييماً بأعصاب هادئة وموضوعية تامة واتباع الدليل لا لقسر الدليل على اتباعك، وقد برهنت لي التجارب أن هذا المنهج مثمر وفاعل في تذليل العقبات أمام الاتجاهات الإسلامية ومزيل لكثير من أسباب سوء التفاهم، وفي الوقت ذاته يعطي ثمرات أُخرى، منها : إعطاء وزن للمنبر يكون منفذاً للفكر الإسلامي يشكل قدراً مشتركاً، ومنها : أنه يضع الخطيب موضع الصاعد إلى مستوى آداب الإسلام وخلق القرآن، ومنها : أن النفوس تنفتح أمامه وتصغي إلى طروحاته، بل يكون السامع عوناً لك على الرأي المقابل متى لمس أنك بعيد عن التشنج، كل ذلك لمسته بنفسي، وجنيت ثماره، وفتح أبواباً للحوار مع الآخرين ولجت منها إلى تصحيح كثير من الأفكار المأخوذة عنّا خطأ .. إذن، ففسح المجال أمام المناقشة الموضوعية الهادئة على أسس علمية من الزم اللوازم للمنبر المسلم الواعي) (الوائلي، 1988م، ص152-153).

ويؤسفنا أن هناك من يتهم الوائلي وينقده على منهجه الوحدوي هذا، بأن الوائلي لم يتمخض بالولاء والحب لأهل البيت (عليهم السلام)، وينتقص من منهج وطريقة الوائلي في التعاطي مع رسالة المنبر، ونقول لهذا المتهم وندعوه إلى دراسة تعامل الأئمة (عليهم السلام) مع مخالفيهم وطريقة مخاطبتهم ومحاورتهم لهم، فسيجد أن الوائلي قد جسَّد هذه السيرة بصدق وأمانة.

وفي بلد كالعراق، نؤكد على حساسية وضعه، وتنوعه طائفياً وعرقياً، وخطورة ذلك على مستقبل المنطقة كلها، فهناك احتلال له مطامعه ومصالحه، وهناك تنوع قومي وديني في

تركيبة شعبه، وهناك مؤامرات داخلية وخارجية تدفع باتجاه التعبئة المذهبية والإثارات الطائفية والقومية، كل هذا يحتم على أصحاب العقول والأقلام والمنابر على خطاب وحدوي، وهذا ما دأب عليه الوائلي في مفردات منهجه.

المطلب التاسع: استقلالية التوجه

هناك علاقة وثيقة بين المرجعية الدينية وبين المنبر الحسيني، وهي في حقيقتها امتداد لموقف الأئمة (عليهم السلام)، من مهامها الاهتمام بقضية الإمام الحسين (υ) والتبليغ الإسلامي بشكل عام، وقد عمقت المرجعية الشيعية، خط أهل البيت (عليهم السلام) في هذا الخصوص، إذ صار الاهتمام بالمنبر، جزءاً من اهتمامات المرجعية، وأحد النشاطات البارزة لها، وقد أصبح المنبر الحسيني حقيقة شيعية ثابتة عبر التاريخ، وعندما اخذت الشعائر الحسينية، تبتعد عن مضمونها الحقيقي الهادف، وقف العديد من مراجع الدين، والعلماء المصلحين من أجل الحفاظ على المضمون الرسالي لطريق إحياء الذكرى الحسينية، وكان أبرزهم، السيد محسن الأمين العالمي، والسيد أبو الحسن الاصفهاني، والسيد البروجردي رحمهم الله وطيب ثراهم(الشامي، 1999م، ص245-246).

إن الشيخ الوائلي ينظر إلى المرجعية نظرة إجلال واكبار، ويهدف في منهجه ان يكون الخطيب في طول الخط المرجعي كعنوان لا ذات، وفي الوقت نفسه عليه أن يكون مستقلاً في توجهاته لاسيما السياسية منها، وأن لا يكون محسوباً ضمن دائرة حاشية لمرجع بعينه، وكان الوائلي يتفاعل ويدعم المشاريع الإصلاحية لمراجع عاصرهم أمثال : الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، وأستاذه الشيخ محمد رضا المظفر في منتدى النشر الإصلاحي، وله مع الشهيد الصدر مشروع لمأسسة المنبر الحسيني على قواعد وأسس علمية، (نشأ الوائلي في عصر يعد قمة في نضج وسعة المدرسة العلمية النجفية في مختلف ابعاد المعرفة، وكان من عناية الله تعالى بالحوزة أن تتابع جيل من المراجع المحققين والعلماء الكفوئين لقيادة الحوزة، وقد ضمنت هذه الفترة على تعاقب واجتماع : الميرزا حسين النائيني، والسيد أبو الحسن الاصفهاني، والسيد محسن الحكيم، والشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، والسيد أبو القاسم الخوئي، والشيخ محمد رضا المظفر، والسيد محمد تقي آل بحر العلوم، والشيخ محمد رضا آل ياسين واضرابهم من فحول العلماء الإعلام) (الشامي، 1999م، ص283).

وكان الوائلي حريصاً على ارتباط المنبر بالمرجعية، وأن يكون من أهم اهتماماتها، لأن ذلك يضمن سلامته الفكرية والمنهجية من جانب، وديمومة بقائه من جانب آخر، ويقول (رحمه الله) : (شد المنبر بالمرجعية الدينية وتجنيده لأجل أن يتبنى اهداف المرجعية بصورة عامة لا بالانتماء لواحد بالذات، بل للعنوان العام حتى يتحاشى الاستقطاب، أو يوضع في أجواء منافسة لا مصلحة عامة فيها، وهذا يخطط جملة فوائد أهمها : الالتزام بالضوابط العلمية، وانعكاس الأخلاق الشرعية على سلوك الخطيب، وسد الثغرات التي يمكن أن ينفذ منها المغرضون، والالتحام بالهدف الأساسي من المنبر وهو كونه قناة للدفاع عن بيضة الإسلام مجسّدة في أشخاص نواب الأئمة، وإعطاء الانطباع بأن الجهاز الديني موحد بكل

أجزائه وواجهاته، ثم بعد ذلك كله صياغة أفراد المستمعين صياغة تجعلهم متشرعين على وعي بمحل الابتلاء من الفروع الدينية وعلى التصاق بأئمتهم كما هو موجود في شعوب أخرى بصورة واسعة لا كما هو عند مستمعينا الذين يقل فيهم من يكون على معرفة بفروعه من ناحية الأحكام والعقائد، كما يقل فيهم من يعتبر جندياً للإسلام يقف للدفاع إذا جد الجد) (الوائلي، 1988م، ص148-149).

ولهذا يرى الوائلي أن المرجعية كخط وقيادة، هي امتداد للأئمة (عليهم السلام) في زمن الغيبة، وأن يكون الخطيب ضمن اهتمام المرجعية وأهدافها، كما خطط له الشهيد محمد باقر الصدر (قدس) وامثاله، ويرى الوائلي كذلك، أن الخطيب عليه أن يعيش الاستقلالية في انتمائه وتوجهه، ويدافع عن المرجعية العنوان والموضوع لا عن الذات والشخصنة، لكي لا يحجم دوره، ويكون ضمن دائرة الضوء والنقد ويدخل في ساحة التنافس مع الحواشي لمراجع آخرين، فيقل تأثيره ويحجم نشاطه العام، كما حدث للخطيب اللامع السيد صالح الحلي المدعوم من حاشية المرجع الروحاني المنافس للسيد أبي الحسن الاصفهاني، إذ يراها الوائلي جزءاً من تدخلات وألاعيب الحواشي لتشويه سمعة الخطيب السيد صالح الحلي وتحجيم دوره، وحرمة الحضور في مجالسه(الخليلي، 2009م، 443/2) (الشامي، 1999م، ص291) (الوائلي، 1988م، ص103) (الروازق، 2004م، ص250-252).

ان الاستقلالية في توجه الوائلي لم تقتصر على ابتعاده للانتساب لمرجعية واحدة فقط بل اشتملت استقلالية توجهه بأن لا ينخرط ضمن تشكيلة حزبية أو سياسية، إذ إنه لم ينتم إلى حزب سياسي وحتى إسلامي، وهو لا يعترض على العمل الحزبي، ولكنه يعتقد أن مهمته لأجل أهداف المنبر تحتم عليه أن يكون مستقلاً ولهذا يقول : (ما برهنت لي تجاربي على صوابه : هو حصر المنبر في حدود اختصاصه وعدم الخروج به عن وظيفته الأساسية، لأن المنبر يقع في البعد التشريعي، ونشر المعلومات والحقائق، وهو بذلك واجهة فكرية ونبع يراد له ان يبقى متدفقاً، يعمل على تنوير القاعدة وشحنها بالوعي، فلو صرفناه عن هذه المهمة إلى خطوط أُخرى كالخط السياسي مثلاً، واقصد بالخط السياسي هنا : الخطوط التنفيذية التي توجه الخطيب إلى ممارسة عملية لتجسيد الفكرة، فإنه في مثل هذه الحالة يلزمه أن يكون متخصصاً بالأبعاد السياسية، وهو فن له مقوماته، كما أن الخطيب سيكون مكشوفاً أمام قوى مدججة ومتهيأة لضربه، وذلك عمل يفقد المبرر، كما أنه ليس من الحصافة أن يكشف الإنسان موضع المقتل منه أمام خصمه، والعمل السياسي من أهم أركانه الكتمان والحيطة والحذر، وإذا كان حريصاً على ذلك فيمكنه صرف جانب من طاقاته في ميادين سياسية سرية، أما تعريض المنبر إلى الموت فمعناه جفاف النبع الذي له دور مهم في تنوير القاعدة) (الوائلي، 1988م، ص150).

والملاحظ أن الوائلي حدد في منهجه الخطابي الخطوات والأهداف، وكان من أهم أهداف المنهج هو : رسالية المنبر التي ينبغي لها أن توصل الإسلام بما فيه من أحكام ومفاهيم وغيرها إلى الوسط الاجتماعي لتوعيته وإظهار الحق والحقيقة، وأن يبرز الخطيب للناس أن كرامة الإسلام وأهل البيت (عليهم السلام)، والعمل السياسي يجعل من الخطيب أمام الضوء

الكاشف مقابل السلطة والتيارات المضادة للإسلام، فعندها سيحجم دوره، أو يكون في موضع الخطر، وهذا ما يعيق توصيل رسالته التي تبناها وتعهد بإيصالها إلى الناس، وهذا الفهم لا يعني أن الدكتور الوائلي ضد العمل السياسي الإسلامي الذي يروم إلى تغيير أنظمة الحكم المنحرفة واستبدال الحكومات الظالمة بأخرى تسير على نهج الإسلام ومبادئه، ولهذا يقول الوائلي (رحمه الله) : (وأرجو أن لا يفهم من كلامي هنا أني ادعو إلى قتل الوعي في نفوس الناس أو كتم المعلومات السياسية السليمة في الفكر الإسلامي، كنظرية الإسلام السياسية، ووقوفه إلى جانب الأمة لنيل حقها وما شابه ذلك، فإن هذا من أول مهام وواجبات المنبر، وإنما أريد أن لا يكون للمنبر دور تجسيدي، فقد يذكر الخطيب أن نظرية الانتخاب نابعة من مفهوم الشورى ويشرحها ويدعو إلى تبني هذا المنهج بصورة عامة، ولكن لا ينبغي أن يكون هو المقر الانتخابي لفئة خاصة والبوق الذي يندد بالآخرين، ويحصر المشروعية بما ينتمي إليه، فإن ذلك يحوله من خطه التشريعي إلى أداة منفذة) (الوائلي، 1988م، ص151-152).

المطلب العاشر: رسالية الهدف

ونختم بأهم ما تبناه الدكتور الوائلي في منهجه، وهو ما نطلق عليه رسالية الهدف، إذ إن منبره هادف ورسالي، يريد من خلاله تبيان الحق والحقيقة والانتصار لهما والدفاع عنهما، وعن مبادئ الإسلام الحقة والتي هي مبادئ التشيع، ويهدف الوائلي كذلك إلى تبيان المفاهيم الإسلامية من مصادرها القطعية الصدور كالقرآن والسنة المطهرة، وقد قام بدوره الرسالي هذا متبنياً ومدافعاً بحق أمام من كتب ونظَّر ضد هذه المبادئ محاولاً تشويهها أو تكذيبها من المفكرين الملحدين، والخطباء المغرضين، والكتاب المأجورين، وأمثالهم، فوظَّف الوائلي منبره طيلة نصف قرن أو يزيد، ليدخل مع أمثال هؤلاء بحوارات هادئة وأفكار هادفة، ووقف (رحمه الله) سداً منيعاً أمام الأفكار الوافدة، كقضايا الاشتراكية المزيفة، والماركسية الملحدة، والليبرالية المستعمرة، ووقوفه في مجابهة الهجمة البعثية على الحوزة العلمية، لاسيما في أيام انتصار الثورة الإسلامية في إيران بقيادة قائدها الملهم روح الله الموسوي الخميني (قدس)، ووقف مدافعاً أمام النقاد من الكتاب الذين لم يفهموا أهل البيت (عليهم السلام) بشكل عام، والإمام المهدي بشكل خاص، وشككوا في شرعيتهم ومشروعيتهم وأحقيتهم، أمثال أحمد أمين وأمثاله ممن تبنى نهجه وسار بمسيره، وقد وظف الوائلي فكره، وقلمه، وشعره، للدفاع عن مبادئ الإسلام وأصوله الثابتة، ودافع كذلك عن مواقف الأمة الوطنية وقضاياها المصيرية والقومية كقضية فلسطين، في العديد من المناسبات التي تحتاج إلى وقفة شجاعة ومسؤولة.

لم يعرف الشيخ الوائلي الممالأة للسلطات الحاكمة، فعندما سقط النظام الملكي في العراق عام 1958م، وتشكلت الجمهورية العراقية، قام عبد الكريم بتقريب الشيوعيين لدعم سلطته، وقد استغل الشيوعيون ذلك فقاموا بحملة تخريب كبير في الجوانب الفكرية والتربوية والسياسية، فتصدى الشيخ الوائلي لعبد الكريم قاسم، مخاطباً إياه في قصيدة شجاعة جريئة، مع العلم أن الشيوعيين لم يكونوا يتوانون عن الدفاع عن قاسم، ومهاجمة من ينتقد حكمه، لكن الشيخ الوائلي انتفض ولم يضعف في أداء رسالته(الشامي، 1999م، ص288). وألقى قصيدة مطلعها:

وعـاد يـزأر فـي النـادي الوديـع فتـى ... مفيهـق صـوته كالصـخر ينحـدرُ
يحكـي البطـولات كالصـبيان إن ركبـوا ... عصـيّهم حسـبوها الخيـل تبتـدر
وحولـه نفـر يـروون مـن خـدع ... لـه الهـدير ليـروي انهـم هـدروا
وهـو الـذي كـان لا يسـتطيع مـن هلـع ... أن تسـتقر علـى أعطافـه الأزر
أيـام لا نحـن فـي سـلم فيمنعنـا ... ولا بحـرب فنـدري كيـف نعتجـر
أغـراب لا نحـن مـن قـيس فتمنعنـا ... ولا قـريش فيحمـي رحلنـا مضـر
مشـى لنـا، غربـاء، لـو بسـاعدهم ... لهـان، لكـنهم طـلٌ لمـن أمـروا
تقسـمونا فـإغراء لمـن رقصـوا ... رقـص القـرود وضـغط للـذي صـبروا

(الشامي، 1999م، ص288) (الروازق، 2004م، ص126-127)

ويترجم الوائلي (رحمه الله) هدفيته من رسالة المنبر بقوله : (... كنت عندما أتوجه إلى صعود المنبر لا يقتصر همي على الإجادة وإرضاء السامع بقدر ما يتجه همي إلى ما أذكره، هل هو بمستوى كرامة الإسلام وأهل البيت أم لا؟ ثم بعد ذلك، هل هذا الذي أؤديه سيصورني بصورة (قارئ تعزية) يرتزق، أم بصورة خطيب محترم له كرامته، كان هذا الذي يهمني جداً ويسيطر على أدائي حتى في انتقاء اللفظة المتينة المعبّرة، وفي الحركة على المنبر إذ عدَّ كل ذلك من مقومات المنبر المتصف بالوقار) (الوائلي، 1988م، ص120).

وعلى الرغم من أن الشيخ الوائلي يعتبر بصدق عميد المنبر الحسيني، وهو صاحب مدرسة خطابية لاقت نجاحاً ورواجاً منقطع النظير، وعلى الرغم من أن منهجه رائد في الخطابة المنبرية، ولكن مع هذا لا يدعي الكمال، ويقول، هذه خطوات على الطريق أحسبها صحيحة، وعلى من يرى الأخذ بها وتقييمها وتقويمها وتطويرها فهو يسد نقصاً ويكمل بنياناً، يبقى سقفه مكشوفاً ونهاياته مفتوحة تحتاج إلى من يرتق فتقها، ويقول: (أعتبر منهج تأليفي للموضوع مجرد حلقة في طريق، ودرج واحدة في سلم طويل، وليست هي من نوع ليس في الامكان أحسن مما كان، فقد لا يروق منهجي للآخرين، وقد يكون نتيجة لتجاربهم أن غيره أفضل، وأكثر جدوى، وأرجو أن يرتقوا إلى نهاية السلم .. كما أرجو أن لا احرم من اجر الإسهام في خطوة بهذا الدرب، فكل الدرب من دروب المعرفة لم يقطعه واحد بمفرده، بل تتالى عليه كثير، وكل منهم أنجز جزءاً، وتبقى النهايات مفتوحة لمن عنده المزيد، وآفاق المعرفة في اتساع لمن يأتي بعدك .. فقد يكون منهجي متخلفاً بالقياس إلى ما يحتاجه العصر، فيأتي من يبتكر منهجاً أفضل وطريقة أجدى، ولكن الذي ينبغي أن لا يكون مشمولاً للتطور هو الثوابت التي نريدها للمنبر الإسلامي، وهي أن تكون الأعمدة الأساسية في عملية التبليغ، وروح الكتاب والسنة، ومعطيات اللغة العربية ديباجة ومضموناً، وبعد ذلك فليذهب الخطيب أنى شاء في أبعاد المعرفة المتنوعة ما دامت هذه الأعمدة محفوظة..) (الوائلي، 1988م، ص179-180).

هكذا وبكل تواضع يرسم الوائلي للآتين طريقاً ومنهجاً، ويضع تجربته الخطابية التي صدح بها بصوته أكثر من نصف قرن أمام الخطباء، ليجدوا عملاً منجزاً وتجربة أثبتت نجاحها، ومن أراد ان يستزيد عليه أن يطورها ويكمل تشييد صرحها.

المبحث الثاني

التحديات والشبهات

إن المبلغ سفير متنقل، ومرجع متجول، له مهمة إيصال وتبليغ الرسالة وأحكامها، ومفاهيمها، وما يتعلق بهما إلى الأمة بمسؤولية وشجاعة وأمانة، وأن يرصد من يسيء إلى هذه الرسالة للتنبيه والإشارة والنصح والتوجيه والمجابهة والمواجهة إذا اقتضى الأمر ذلك، حفاظاً على هذه الرسالة الخاتمة والتي يجب صونها والدفاع عنها أمام من يزرع الشبهات ويتبنى التحديات للحيلولة من دون انتشار هذه الرسالة سليمة إلى الناس.

وبعد أن أوضحنا معالم المنهج عند الدكتور الوائلي (رحمه الله)، نرى من المناسب جداً تبني منهجه لننقله من مرحلة النظرية إلى التطبيق، لنقف عند أهم الشبهات التي واجهها الوائلي في حياته، وما زالت مستمرة إلى يومنا هذا، وهذا ما نبحثه بمطالب، أولها: مواجهة شبهة الغلو، وثانيها: مواجهة شبهة الطقوس وشج الرؤوس، وثالثها: مواجهة الحركات المشبوهة ولمقتضيات البحث وشرائطه ، وللاختصار نقف عند الشبهة الأولى وهي:.

مواجهة شبهة الغلو

إن ظاهرة الغلو لم تنحصر في مجتمع دون غيره، ولا دين دون غيره ونبحث،

أولاً : ظاهرة الغلو :

الغلو: الارتفاع بالشيء ومجاوزة الحد فيه ومنه قوله جلّ وعز: لا تغلوا في دينكم، أي لا تجاوزوا المقدار(الازدي، 1987 ، 961/2)

وتكثر هذه الظاهرة في المجتمعات الراكدة ذات المستوى الثقافي المحدود، فيقوم بعض الخطباء بتمجيد أولياء وتعظيم شأنهم ورفعهم من درجة العبودية إلى درجة الألوهية، وما يلازمها من الخلق، والإحياء، والرزق، وغيرها، فيقوموا بحرف أفكار الناس وإضلالهم، لاسيما أن عقول الناس وبساطة أفكارهم مهيئة لتقبل أمثال هكذا أفكار، ولعل السبب لهذه الظاهرة هو الدافع النفسي والعاطفي، أو الأثر الفلسفي نتيجة تأثر الدين بالفلسفة الأفلاطونية الحديثة، أو فلسفات الأمم الوثنية التي اختزنت الكثير من الأساطير والخرافات، وقد يكون هناك دافع سياسي نتيجة دخول شعوب وثنية في الإسلام وقد وظّفوا الغلو كمولد ذاتي للشحن العاطفي والطائفي بما ينسجم وغاياتهم، وعلى أية حال، فإن الغلو يترك آثاره على الجانب الفكري والعقدي، لاسيما لذوي العقول الساذجة والتي لها قابلية على تقبل هذه الأفكار، والتي ستكون مقدمة للشرك والكفر والإلحاد بعد ترويض عقل الإنسان على تقبل الخرافات والأساطير وتصديق الأوهام والأحلام وأمثالها. فيتحول الله تعالى عند المسلم البسيط إلى مفهوم مجرد غير مؤثر وغير فاعل في الحياة، أي يبقى في ذهنه وعقله، ولكنه لا ينفذ إلى وجدانه، وعندها ستكون ذهنية هذا الإنسان المسلم قابلة لتقبل الأفكار الأُخرى التشكيكية بوجود

الله تعالى، لاسيما إذا كانت الأفكار الواردة مغلفة بغلاف العلم والتجربة والحس، فستجد مكاناً لها في ذهنية السذّج من الناس لحرف عقولهم ومصادرتها إلى الشرك والضلال.

ثانياً : الغلو في القرآن الكريم :

نبأنا القرآن الكريم عن غلو أهل الكتاب، وقال تعالى في كتابه العزيز : ((**قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُواْ أَهْوَاء قَوْمٍ قَدْ ضَلُّواْ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرًا وَضَلُّواْ عَن سَوَاء السَّبِيلِ**))(سورة المائدة، الآية 77).

ويوضح أبو جعفر في تفسيره بقوله : [وهذا خطاب من الله تعالى ذكره لنبيه (o) يقول تعالى ذكره : (قل)، يا محمد، لهؤلاء الغالية من النصارى في المسيح (يا أهل الكتاب)، يعني بـ(الكتاب)، الإنجيل، (لا تغلوا في دينكم)، يقول : لا تفرطوا في القول فيما تدينون به من أمر المسيح، فتجاوزوا فيه الحق إلى الباطل، فتقولوا فيه : (هو الله)، أو : (هو ابنه)، ولكن قولوا : هو عبد الله وكلمته القاها إلى مريم وروح منه، (ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً)، يقول : ولا تتبعوا أيضاً في المسيح أهواء اليهود الذين قد ضلوا قبلكم عن سبيل الهدى في القول فيه، فتقولون فيه كما قال : (هو لغير رشده)، وتبهتوا أمه كما بهتوها بالفرية وهي صديقة، (وأضلوا كثيرا)، يقول تعالى ذكره، وأضل هؤلاء اليهود كثيراً من الناس فحادوا بهم عن طريق الحق وحملوهم على الكفر بالله والتكذيب بالمسيح، (وضلوا عن سواء السبيل)، يقول : وضل هؤلاء اليهود قصد الطريق، وركبوا غير محجة الحق، وإنما يعني تعالى ذكره بذلك، كفرهم بالله وتكذيبهم رسله : عيسى ومحمداً (o) وذهابهم عن الإيمان وبعدهم منه، وذلك كان ضلالهم الذي وضعهم الله به](الطبري، 2000م، 192/1).

ونلاحظ أن الله تعالى لم يعرض شبهة الغلو فحسب، بل يوجه أنبياءه إلى الطريق الصحيح لهداية البشر، وعليهم أن يتوجهوا إلى توحيد الله وعبوديته دون غيره، ولهذا يقول جل شأنه : ((**قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ**)) (سورة الرعد، الآية 16) ، ويكثّف الله تعالى آياته ويحكيها عن لسان أنبيائه بآيات منها، قوله تعالى : ((**وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ اللّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ**)) (سورة هود، الآية 31) وقوله تعالى : ((**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ**)) (سورة الكهف، الآية 110) وقوله تعالى : ((**قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ**)) (سورة إبراهيم، الآية 11).

ثالثاً : الغلو في السنة المطهرة :

كما أن السنة المطهرة ذمت الغلاة والمفوضة في العديد من الروايات ومنها:

1- عن النبي الأكرم محمد (o) قال : [لا ترفعوني فوق حقي، فإن الله تبارك وتعالى اتخذني عبداً قبل أن يتخذني نبياً، قال الله تبارك وتعالى : ((**مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللّهِ وَلَكِن كُونُواْ رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ * وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الْمَلآئِكَةَ وَالنَّبِيِّيْنَ أَرْبَابًا**

أَيَـأْمُرُكُم بِـالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنـتُم مُّسْلِمُونَ)) (سورة آل عمران، الآية 79-80)](الصدوق، 1984م، 271/1)(الهيثمي، 1988م، 21/9).

2- عن امير المؤمنين علي بن أبي طالب (υ) قال : (لا تتجاوزوا بنا العبودية ثم قولوا ما شئتم ولا تغلو، وإياكم والغلو كغلو النصارى فإني بريء من الغالين)(الطبرسي، 1966م، 233/2) (الميرجهاني، 1388هـ، 173/2).

3- قال الإمام الصادق (υ) يوماً لأصحابه : (لعن الله المغيرة بن سعيد، ولعن الله يهودية كان يختلف إليها، يتعلم منها السحر والشعبذة والمخاريق، إن المغيرة كذب على أبي عبد الله (υ) فسلبه الله الإيمان، وإن قوماً كذبوا عليَّ، مالهم، أذاقهم الله حرَّ الحديد، فوالله ما نحن إلا عبيد الذي خلقنا واصطفانا، ما نقدر على ضر ولا نفع، وأن رحمنا فبرحمته، وان عذبنا فبذنوبنا، والله ما لنا على الله من حجة، ولا معنا من الله براءة، وإنا لميتون ومقبرون ومنشرون ومبعوثون ومسؤولون، ويلهم، مالهم، لعنهم الله! لقد آذوا الله وآذوا رسوله (ο) في قبره وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن الحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي صلوات الله عليهم، وها أنا ذا بين أظهركم، لحم رسول الله (ο) وجلد رسول الله (ο) ، أبيت على فراشي خائفاً وجلاً مرعوباً يأمنون [الظلمة أو الناس] وأفزع، ينامون على فرشهم، وأنا خائف ساهر وجل، أتقلقل بين الجبال والبراري، أبرأ إلى الله مما قاله فيَّ الأجدع البراد عبد بني أسد أبو الخطاب لعنه الله ، والله لو ابتلوا بنا وأمرناهم بذلك لكان الواجب إلا يقبلوه فكيف وهم يروني خائفاً وجلاً، استعدي الله عليهم، وأتبرأ إلى الله منهم، اشهدكم أني امرؤ ولدني رسول الله (ص) وما معي براءة من الله ، إن أطعته رحمني، وإن عصيته عذبني عذاباً شديداً، أو أشد عذابه)(الطوسي، لا.ت، 491/2).

ولم يكتف الرسول (ص) وأهل بيته (عليهم السلام) بتحديد هويتهم وعبوديتهم للناس، وهم بشر كسائر الخلق، إلا ما يوحى للنبي (ص) ليميزه الله عن غيره، وما عدا ذلك، فهم كبقية الناس، لهم رغباتهم ومتطلباتهم، لهذا يباشر الأئمة (عليهم السلام)، بإبراز حكم الغلاة والمفوضة، لكي لا يغرر بهم الناس.

4- سئل الإمام الرضا (υ) عن الغلاة والمفوضة فقال : (الغلاة كفّار، والمفوضة مشركون، من جالسهم أو خالطهم أو آكلهم أو شاربهم أو واصلهم أو زوجهم أو تزوج منهم أو آمنهم أو ائتمنهم على أمانة أو صدّق حديثهم أو أعانهم بشطر كلمة خرج من ولاية الله عزَّ وجل وولاية رسول الله (ο) وولايتنا أهل البيت) (الصدوق، 1984م، 289/1).

5- وكان الإمام الرضا (υ) يقول في دعائه : (اللهم إني أبرأ إليك من الحول والقوة، فلا حول ولا قوة إلا بك، اللهم إني أبرأ إليك من الذين أدعوا لنا ما ليس لنا بحق، اللهم إني أبرأ إليك من الذين قالوا فينا ما لم نقله في أنفسنا، اللهم لك الخلق ومنك الأمر، وإياك نعبد وإياك نستعين، اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين وآبائنا الآخرين، اللهم لا تليق الربوبية إلاّ بك، ولا تصلح الإلهية إلاّ لك، فالعن النصارى الذين صغروا عظمتك، والعن المضاهين لقومهم من بريتك، اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك، لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ولا موتاً

ولا حياة ولا نشوراً، اللهم من زعم أننا أرباب فنحن إليك منه براء، ومن زعم أن الينا الخلق وعلينا الرزق فنحن إليك منه براء كبراءة عيسى (ט) من النصارى، اللهم إنا لا ندعهم إلى ما يزعمون، فلا تؤاخذنا بما يقولون، واغفر لنا ما يزعمون)(الصدوق، 1993م، ص100).

رابعاً : موقف العلماء من الغلاة :

لقد وقف معظم علماء الإمامية ضد الغلو، كما وقف أئمتهم من قبل وأشرنا لذلك وقد حاربوا الغلو، ووقفوا ضد مروجيه وشخوصه بلا هوادة، وننقل قولين، أحدهما لأحد العلماء المتقدمين، والآخر لأحد العلماء المتأخرين.

فمن المتقدمين ما قاله الصدوق (رحمه الله) : (اعتقادنا في الغلاة والمفوضة أنهم كفار بالله تعالى، وأنهم أشرٌ من اليهود والنصارى والمجوس والقدرية والحرورية، ومن جميع أهل البدع والأهواء المضلة..) (الصدوق، 1993م، ص97).

وكذلك ما قاله الشيخ المفيد (رحمه الله) : (الغلاة من المتظاهرين بالإسلام، هم الذين نسبوا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والأئمة من ذريته إلى الإلوهية والنبوة، ووصفوه في الدين والدنيا إلى ما تجاوزوا به الحد، وخرجوا عن القصد، وهم ضلاّل كفار، حكم فيهم أمير المؤمنين (ט) بالقتل والتحريق بالنّار، وقضت الأئمة (عليهم السلام) عليهم بالأكفار والخروج عن الإسلام)(المفيد، لا.ت، ص109).

ومن المتأخرين كثير منهم السيد ابو القاسم الخوئي (رحمه الله)، حيث قال : (إن الكتاب العزيز يدل على أن الأمور الراجعة إلى التكوين والتشريع كلها بيد الله سبحانه وتعالى)(الخوئي، 1410هـ، 74/2).

وقال السيد الخوئي (رحمه الله) : (إنّ التفويض يلزمه القول بخالق غير الله، فإن معناه أن العبد مستقل في أفعاله، وأنه خالق لها، ومرجع هذا إلى تعدد الخالق، وهو شرك بالله العظيم)(الخوئي، 1975م، ص479).

خامساً : موقف الوائلي من الغلو :

الدكتور الوائلي، وهو الخطيب المفوه، والعقلية الإصلاحية الواعية، والإنسان الهادف لبيان حقيقة الإسلام من جانب وما جسّده أهل البيت (عليهم السلام) من جانب آخر، وهم يمثلون الامتداد الطبيعي لرسول الله (ο)، وقد وقفوا (كما بينا بإيجاز) ضد الغلو والمغالين، نراه يؤكد منهجه في كتابه (هوية التشيع)، ويقول : (إن الشيعة تبعاً لمواقف أئمتهم وقفوا موقفاً حازماً من الغلو والغلاة، فسلطوا عليهم الأضواء وتبرأوا منهم وكافحوهم وشهّروا بهم، وهم بذلك لا يتعدون موقف أمير المؤمنين (υ) حينما قال: (هلك فيَّ اثنان محب غال وعدو قال)* (عبده، 1412هـ، 28/4) والإمامية لا يورثون الغلاة وإليك نص عبارتهم في ذلك: يرث المحق من المسلمين من مبطلهم، ومبطلهم من محقهم ومبطلهم، إلا الغلاة، يرث منهم المسلمون، وهم لا يرثون المسلمين، كما إن الإمامية لا يغسلون موتى الغلاة ولا يدفنونهم، ويحرمون تزويجهم وإعطائهم الزكاة، وتجد هذه الأحكام موزعة في فقه الإمامية في أبواب الطهارة والزكاة والإرث، إن الإمامية لا يعتبرون الغلاة مسلمين..) (الوائلي، 1994م، ص196-173).

ومن هذا المنطلق تقع المسؤولية العظمى على رواد المنابر والخطباء عامة والشيعة خاصة، وعليهم تبيان وبيان موقف الإسلام من ظاهرة الغلو، وبعكسه سوف يفتحون جبهة لأعداء الدين، لإضعاف الدين في نفوس الشباب وتشويه عقيدتهم، ليكون ذلك مدعاة إلى كفرهم وإلحادهم، لهذا وقف القرآن الكريم، ورسوله العظيم، وأهل بيته (عليهم السلام) من بعده، والعلماء تبعاً لهم، موقفاً صارماً وحازماً من هذه الظاهرة الخطيرة، التي لو سمح بها فإنها ستؤول إلى الشرك والكفر والإلحاد، ويؤسفنا أن هناك أصوات نشاز تتفوه بالغلو بقصده أو بدونه وقد امنوا من الرقيب، ولكن الله لهم بالمرصاد.

الخاتمة :

هناك الكثير من الاستنتاجات نستخلصها من هذا البحث نشير إلى بعضها:-

أولاً : يعد منهج الوائلي منطلقاً وأساساً لمواجهة قضايا الغلو، والممارسات المشبوهة، والطقوس الغريبة، والأفكار الإلحادية، والحركات المزيفة التي تقف وراء هذه الظواهر لاستبطانها توجهات وسلوكيات بعيدة عن قيم وروح ومبادئ الإسلام ومقاصد الشريعة، وقد واجهها الوائلي (رحمه الله) بمنطق حواري وهادف، وبخطاب يتسم بالحكمة والموعظة الحسنة، مستعملاً الطرق العلمية والعقلية من أجل تحرير إرادة الإنسان، وتبيان معالم الطريق له، من أجل إيصاله إلى الحق والحقيقة.

ثانياً : استطاع الوائلي بمنهجه أن يثبت أحقية أهل البيت (عليهم السلام) وأنهم عدل القرآن متلازمان ولا يفترقان، كما ويعد الوائلي بمنهجه المقعّد على أسس علمية أن يجسّد سيرة ومسير أهل البيت (عليهم السلام) وهم يجسّدون مبدأ المقاومة والممانعة، وقد وظّف عمره الشريف طيلة نصف قرن أو تزيد، وهو يزّبي الأمة ويحضها على

* وفيه : (هلك فيَّ رجلان..).

التمسك بكتاب الله وسنة نبيه وعترته، ليحفِّزها على النهوض، وينتشلها من واقعها ومعاناتها، وهو يرفدها ويغذيها بفكره الثوري والمقاوم، لتأخذ دورها وتنهض بتكليفها ومسؤولياتها ضد استبداد وظلم وانحراف السلاطين، واستئثارهم بخيرات البلاد، واستعبادهم للعباد، مستفيداً من نهضة الحسين (ع) منهجاً للمواجهة والتصدي، لكي تنال الأمة حقوقها المهدورة، وتسترجع إرادتها المسلوبة، وتنتصر لكرامتها المنتهكة، وقد تحقق للوائلي ما أراد بانتصار مبدأ المقاومة ومنجزاته، أمام مبدأ المساومة وتداعياته، والذي كان وما يزال يريد للأمة الخنوع والخضوع والسكوت لتعيش ذليلة، راضية بقدرها مستسلمة لذلها وقهرها.

ثالثاً : استطاع الوائلي بمنهجه المتصف بالوسطية، والاعتدال، والموضوعية، والواقعية، والموسوعية، والاستقلالية في توجهه، والرسالية في أهدافه، والوحدوية في خطابه، والحداثوية في طرحه، أن يكون أنموذجاً ومنطلقاً لتحييد المعادي وكسب المحايد، وتحجيم دوائر وبؤر الصراع المذهبي والعرقي، لأن الوائلي يدعو إلى أنسنة المجتمع، ويرى الناس أخوة في الدين أو نظائر في الخلق، من أجل بث روح الأخوة، والتعاطف، والتسامح، ونبذ الأفكار الخلافية الهدامة التي تحول الاختلاف المشروع إلى خلاف مقيت، ويدعو منهج الوائلي إلى التعايش السلمي والأمن المجتمعي، مع احتفاظ الجميع بهويتهم وانتمائهم المتعدد.

رابعاً : استطاع الوائلي بمنهجه الذي اعتمد فيه على مرجعية القرآن، أن يظهر للعالم عالمية الإسلام، وانه دين حياة ودولة، ويستطيع مواكبة العصر والتحضر، لما يمتلكه هذا الدين من صفات الربانية، والعالمية، والوسطية، والشمولية، والواقعية، والإنسانية وغيرها، واستطاع الوائلي بملكاته المتعددة، أن يثبت لكل الأجيال أن الإسلام يستبطن حيثية واقتضاء البقاء، وله القابلية على التكيف مع متطلبات الزمان والمكان، ويستطيع أن يوظِّف الثابت والمتغير فيه لمواكبة العصر وتطلعاته.

خامساً : استطاع الوائلي بمنهجه الناجع، أن ينهض بالمنبر التقليدي الذي يناغم العقول الساذجة والبسيطة لاستدرار عواطفها وانتزاع دمعتها، إلى منبر حر واعٍ نابض بالحياة، ويحمل رسالة الوعي والتغيير ويعتمد العقل في خطابه، والإصلاح في منهجه، ليخلق التوازن بين العاطفة والفكر لإنتاج السلوك المعتدل والمسؤول والمتوازن للشخصية الإسلامية.

سادساً : يعد منهج الوائلي مرتكزاً للإصلاح على الصعد كافة، وقد عاصر الوائلي مرجعيات إصلاحية، وقد خبر تجاربها، وأن عملية الإصلاح متعددة الجوانب، ويمثل المنبر أحد مرتكزاتها للنهوض بإحياء شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المضيعة، والاعتماد على نهضة الإمام الحسين (ع) الإصلاحية بتفعيل هذه الوظيفة المباركة لرسم خريطة طريق للإصلاح، تبدأ من أصلاح المنبر نفسه، ومن ثم الانتقال لتنقية وغربلة الموروث، حتى يتم التفرغ لمواجهة الشبهات والعادات والطقوس والحركات الإلحادية والمشبوهة. وأنّ القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهمة

صعبة وثقيلة ولها تداعيات، ويجب أن يشترك فيها مراجع الدين، والعلماء الربانيون، والخطباء المخلصون، والدعاة الواعون، والكتاب والمفكرون، مع دعم الدولة لهم قانونياً ودستورياً، لكي يقف الجميع أمام هذا الانهيار والانحراف الفكري والعقيدي والسلوكي، والذي أخذ أشكالاً وأطواراً متعددة مدعوما بمال وإعلام وجهات مخابراتية إقليمية ودولية لحرف الشباب والمجتمعات وسحقها بعجلة العولمة التي اجتاحت الحدود وعبرت السدود. ويعد منهج الوائلي نقطة الشروع لما ينبغي فعله، والله المستعان.

سابعاً : الإلحاد ليس له أسس وقواعد علمية، ولا يستطيع الوقوف أمام الحقائق العلمية والتي تشكل بمجموعها قواعد تنسجم مع العقل السليم، والفطرة النقية، ولهذا ما يحدث من تمظهرات إلحادية عبارة عن ردات فعل لما يعكسه الواقع من تداعيات وسلبيات متعددة، يشكل من يزعم فشل أو إفشال الإسلام السياسي واحداً من تداعياتها، كما تشكل ظواهر ومظاهر الغلو في الخطاب الديني مضافاً إلى ما يلازم الغلو من ممارسات ومظاهر فلكورية شاذة وتمارس باسم الدين وأوليائه الصالحين، وهي مجانبة للحق والحقيقة، وفوق هذا وذاك ما يقوم به بعض الخطباء المتمنطقين من التنظير لهذه الظواهر باسم الولاء والحب لأهل البيت (υ) لإسباغ الشرعية لممارسيها، لكي تمرر على عوام الناس والبسطاء منهم، مضافاً إلى حالة الفراغ التي يعيشها هذا الجيل الواعد والذي فتح عينيه ليجد الحروب والدمار والفتن الطائفية والمذهبية والفقر والعوز وانعدام الأمن والأمل وغيرها كثير، لتكون ذهنيته مهيأة قابلة لأفكار الإلحاد والملحدين، لاسيما غياب المنهج والمشاريع لاستيعاب هذه الطاقات الشابة الأمر الذي أدى بها أن تقع فريسة ورهينة في أحضان من استعمر البلاد، وأهلك الحرث والعباد.

المصادر و المراجع

* **القرآن الكريم**

1. ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت:751هـ)، (لا.ت)، أعلام الموقعين عن رب العالمين، رتبه وضبطه وخرج آياته : محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
2. أبن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم، الأفريقي المصري، (ت:711هـ)، (2005م)، لسان العرب، (ط1)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.
3. الازدي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت: 321هـ)، جمهرة اللغة، تحقيق رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
4. الأزدي، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني، (ت:463هـ)، (1981م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، المحقق : محمد محي الدين عبد الحميد، (ط5)، دار الجيل، بيروت-لبنان.
5. الآصفي، محمد مهدي، (1998م)، الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الإصلاحية في النجف، مؤسسة التوحيد للنشر الثقافي، إيران.

6. آل نواب، أ.د. عبد الرب نواب الدين، (2004م)، وسطية الإسلام ودعوة للحوار، (ط1)، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض – السعودية.
7. الأميني، الدكتور الشيخ محمد هادي، (1964م)، معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام، (ط1)، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.
8. البصري، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، (ت:170هـ)، (لا.ت)، كتاب العين، المحقق : د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، الناشر : دار مكتبة الهلال، (د.ب).
9. البغدادي، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري، (ت:230هـ)، (1990م)، مسند أبن الجعد، تحقيق: عامر احمد حيدر، (ط1)، مؤسسة نادر، بيروت-لبنان.
10. بن سورة، أبي عيسى محمد بن عيسى ، (ت:279هـ)، (2017م)، سنن الترمذي، تحقيق : احمد محمد شاكر، (ط1)، دار العالمية للنشر والتجليد، القاهرة-مصر.
11. البهادلي، علي أحمد، (1993م)، الحوزة العلمية في النجف معالمها وحركتها الإصلاحية، 1920-1980م، دار الزهراء، بيروت-لبنان (رسالة ماجستير).
12. جمال الدين، د. مصطفى، (1995م)، الديوان، دار المؤرخ العربي، بيروت-لبنان، (المقدمة).
13. الحلي، ابن ادريس، (ت:598هـ)، (1411هـ)، مستطرفات السرائر، تحقيق : لجنة التحقيق، (ط2)، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
14. الخامنئي، السيد علي الحسيني (حفظ الله)، (1999م)، أجوبة الاستفتاءات، (ط1)، الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان .
15. الخليلي، جعفر، (2009م)، هكذا عرفتهم، صححه واعتنى به : محسن عقيل، (ط1)، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.
16. الخوئي، السيد أبو القاسم الخوئي، (لا.ت)، المسائل الشرعية، دار الزهراء، بيروت، لبنان.
17. الخوئي، آية الله العظمى السيد أبي القاسم الموسوي الخوئي، (ت:1441هـ)، ملاحظات تقرير لبحث، توزيع دار الانصاريان، قم-إيران، أشرف على طبعه، مرتضى الحكمي، مطبعة الآداب، النجف الأشرف.
18. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين، خطيب الري، (ت:606هـ)، (1420هـ)، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، (ط3)، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
19. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف، (ت:502هـ)، (1412هـ)، المحقق : صفوان عدنان الداودي، (ط1)، دار القلم، الدار الشامية، دمشق-بيروت.
20. الزركلي، خير الدين ، (1976م)، ترجمة الإعلام ، (ط7)، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان.

21. سليم، الشهيد عز الدين، (1416هـ)، الإمام محمد باقر الصدر رائد حركة التغيير في العراق، (ط1)، منشورات المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق، طهران-إيران.
22. السيد الخوئي (ت:1411هـ)، (1410هـ)، كتاب الطهارة، (ط3)، دار الهادي للمطبوعات، قم-إيران.
23. السيد الخوئي، (ت:1411هـ)، (1975م)، البيان في تفسير القرآن، (ط4)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.
24. الشامي، جسين بركة، (1999م)، المرجعة الدينية من الذات إلى المؤسسة، (ط1)، مؤسسة دار الإسلام ، لندن.
25. الشيباني، أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد، (ت:241هـ)، (1983م)، فضائل الصحابة، فضائل علي (ع)، المحقق : د. وصي الله محمد عباس، الناشر : مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.
26. الشيخ الصدوق (ت:381هـ)، (1993م)، الاعتقادات في دين الإمامية، (ط2)، تحقيق : عصام عبد السيد، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.
27. الشيخ الصدوق، (ت:381هـ)، (1379هـ)، معاني الأخبار، تحقيق : علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة.
28. الشيخ الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، (ت:381هـ)، (1984م)، تحقيق : حسين الأعلمي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.
29. الشيخ الطوسي، (ت:460هـ)، (بلا.ت)، اختيار معرفة الرجال، تصحيح وتعليق : ميرداماد الاسترابادي، تحقيق : السيد مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، قم-إيران.
30. الطاهر، د. علي جواد، (1974م)، منهج البحث الأدبي، مكتبة اللغة العربية، بغداد، شارع المتنبي.
31. الطبراني، سليمان بن أحمد، أبو القاسم الطبراني، (ت:360هـ)، (1994م)، المعجم الكبير، المحقق : حمدي بن عبد المجيد السلفي، (ط2)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر، (ط1)، دار الصميعي، الرياض-السعودية.
32. الطبرسي، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، من أعلام القرن السادس الهجري، (1995م)، مجمع البيان في تفسير القرآن، حققه وعلق عليه لجنة من العلماء والمحققين والأخصائيين، (ط1)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت-لبنان.
33. الطبرسي، أحمد بن علي الطبرسي، (ت:548هـ)، (1996م)، الاحتجاج، تحقيق : السيد محمد باقر الخرسان، دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف.
34. الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (ت:310هـ)، (2000م)، جامع البيان في تأويل القرآن، (ط1)، المحقق : أحمد محمد شاكر، الناشر : مؤسسة الرسالة، (د.ب).

35. العاملي، أحمد عبد الله أبو زيد، (2007م)، محمد باقر الصدر –السيرة والمسيرة في حقائق ووثائق، (ط1)، مؤسسة العارف للمطبوعات، بيروت-لبنان.
36. عبد الحميد، د. أحمد مختار، (ت:1424هـ)، (2008م)، معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، (ط1)، عالم الكتب.
37. عبده، الشيخ محمد، الناشر (1412هـ)، نهج البلاغة، خطب أمير المؤمنين (ع)، (الوفاة : 40هـ)، تحقيق وشرح، (ط1)، دار الذخائر، قم-إيران.
38. العلامة المجلسي، (ت:1111هـ)، (1983م)، بحار الأنوار، تحقيق : محمد الباقر البهبودي، عبد الرحيم الشيرازي، دار أحياء التراث العربي، بيروت-لبنان.
39. فضل الله، السيد محمد حسين، (1998م)، حديث عاشوراء، تنسيق: جعفر فضل الله، (ط2)، دار الملاك للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت – لبنان.
40. المطهري، مرتضى المطهري، (1990م)، الملحمة الحسينية، ترجمة المركز العالمي للدراسات الإسلامية، قم-إيران.
41. المعتزلي، ابن أبي الحديد المعتزلي، (ت:656هـ)، (لا.ت)، شرح نهج البلاغة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع، قم-إيران.
42. المفيد ، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت413هـ)، (1993م)، الإرشاد في معرفة صحيح الله على العباد، (ط2)، تحقيق : مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لتحقيق التراث، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.
43. المفيد، محمد بن محمد بن النعمان (ت:413هـ)، (لا.ت)، تصحيح الاعتقاد أو شرح عقائد الصدوق، منشورات الرضي، قم-إيران.
44. المؤمني، د. احمد محمد، (لا.ت)، مفهوم وضوابط الوسطية في الإسلام ودلالتها من السنة، (د. ن) (د.ب).
45. الميرجهاني، (ت:1388هـ)، (1388هـ)، مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة).
46. النسائي، أبو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت:303هـ)، (2001م)، السنن الكبرى، حققه : حسن عبد المنعم شلبي، قدم له : عبد الله بن عبد المحسن التركي، (ط1)، مؤسسة الرسالة، بيروت-لبنان.
47. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (ت303هـ)، (2000م)، كتاب الإغراب، الجزء الرابع من حديث شعبة بن الحجاج وسفيان بن سعيد الثوري مما أغرب بعضهم على بعض، تحقيق : أبو عبد الرحمن محمد الثاني بن عمر بن موسى، (ط1)، دار المآثر –المدينة النبوية.

48. النيسابوري، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (ت:261هـ)، (2014م)، صحيح مسلم، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي وآخرون شركة القدس للنشر و التوزيع، القاهرة – مصر، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة.
49. الهيثمي، أبو الحسن نور الدين بن أبي بكر بن سليمان، (ت:807هـ)، (1988م)، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان.
50. الوائلي، أحمد، (1412هـ)، الديوان، انتشارات الشريف الرضي، قم-إيران، المقدمة.
51. الوائلي، الدكتور أحمد، (1994م)، هوية التشيع، (ط3)، دار الصفوة، بيروت-لبنان.
52. الوائلي، الدكتور الشيخ أحمد ، (1988م)، تجاربي مع المنبر، (ط1)، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.
53. الوائلي، الدكتور الشيخ احمد الوائلي (رحمه الله)، (2004م)، أمير المنبر، صادق جعفر الروازق، الناشر: ناظرين، مطبعة : شريعت، قم- إيران.
54. الوائلي، الشيخ احمد، (2007م)، ديوان الوائلي، (ط1)، شرح وتدقيق سمير شيخ الأرض، مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان.